

إِلَى قَلَمٍ

بقلم : فوزية علوي

اكتبني ، فلست بغير المِدادِ أَعِيش ، واقرأني فلست بغير
عينيك أَكُون . عَمَدَنِي حَبْرًا فِي لَوْنِ السَّمَاءِ أَنْعَتِقُ . وَوَشَحَنِي
بَزْرَقَةِ الْمَحِيطَاتِ أَشْفَ مَاءَ نَمِيرًا .

دَمْعِي يَرْفُضُ ، فَيَغْيِرُ الْوَرَقَ لَا تَمْسَحْ بُكَائِي وَلِيَكُنْ وَرَقًا ثَائِرًا
كَالزَّبَدِ ، بِتَلَاتِهِ بَيَضَاءُ فِي لَوْنِ النُّجُومِ أَوْ خَضِرَاءُ فِي لَوْنِ
النَّعِيمِ ، نِعْمَ الْمَلْمَسُ هِيَ ، تَنْسَابُ عَلَيَّ خَدَيَّ أَثِيرًا وَتَتَنَاقِصُنِي
عَبِيرًا يَتَخَافِي عَنِ الْعَيُونِ ، يُجَاقِي الْحَوَاسَّ وَيَنْزِلُ ضَيْفًا عَلَى
الرُّوحِ تَقْرِيةً سَلَامًا وَحَنَانًا .

اكتبني حُرُوفًا عَرَبِيَّةً سَمَرَاءَ ، عَنِ وَلَهِّ الْعُشَاقِ تُحَدِّثُ ، وَعَنِ
حَدَاءِ الْأَعْرَابِ فِي صَحَارِي الْيَمَنِ تَقُولُ وَعَنِ سَمَرِ الْقَبَائِلِ
يَسْبِيهَا الْمَاءُ وَيَتَعْتَبُهَا الرُّحِيلُ . اكتبني " حَاءُ مِنَ الْحَلْقِ يَحْيَى "
وَوَحْيًا . وَرَاءُ كِرَاءِ الرُّوَابِي وَرُثْمَارِيَا فِي رُبُوعِ بِلَادِي وَقَاءُ وَفِيَا
أَقِيلُ فِي سَكُونِهِ إِذَا مَا أَجْهَدُنِي الْبَعَادُ .

اكتبني بِمَدَادٍ مِنْ تَوْتٍ تَلَقَّطَتْهُ طِفْلَةٌ تَدُوسُ الزَّمْنَ فِي سَفُوحِ
الشُّعَائِنِيِّ " فَإِنْ أَقْفَرْتَ قَوَافِلَ الثَّمَرِ فَبِدْمَعِكَ وَبِرَأْعِكَ هُدْبِي فَإِنْ

شَحَّ فَمَنْ شَرَايِينِكَ تَمْتَدُّ خَارِطَةُ عَجِيَّةٍ عَلَى يَدَيْكَ
أُضِيعُ فِي دُرُوبِهَا وَأَتَمْنَى لَوْ أَنِّي فَقَطُّ أَعَثَرْتُ عَلَى قَلْبِكَ أُرْتَاحُ مِنْ
نَصْبِي . فَإِنْ شَحَّ دَمُكَ فَاحْفَرْنِي عَلَى تَرْبَةٍ وَطْنِي ، عَلَى صَخْرٍ
يُعَانِقُ السَّمَاءَ أَوْ جَذَعٍ صَفْصَافَةٍ حَالِمَةٍ فَأَنَا لَسْتُ ، بِدُونِ الْحَرْفِ .
وَأَنَا وَهُمْ يَتَبَخَّرُ ...

وإن مت لا تنسى كفنِّي في ورق البردي أو بين دفاترك ،
حَنُطْنِي بَيْنَ دَفْتِي كِتَابِ فَرَاشَةٍ رَفِيقَةٍ وَاقْبِرْنِي فِي مَحْبَرَةٍ وَعَلِّمْ
عَلَى قَبْرِي بِحَرْفٍ عَرَبِيٍّ يَشْعُ فَأَنَا أَخَافُ يَضِيعُ قَبْرِي بَيْنَ
الْأَحْرَفِ الْأَعْجَمِيَّةِ .

اكتبني تميمة وعلِّقها على صدري يَنَاقِ عَنْ وَجِيهِهِ وَعَلَى جَبِينِي
يُنْصَانِي الصَّدَاعُ ...

اكتبني قصيدة فريدة شريفة : اكتبني جُرَيْدَةً وَحِيدَةً فِي وَاحَةٍ
بَعِيدَةٍ ، اكتبني أَنْشُودَةً فِي أَحْرَفِ الصَّغَارِ ، أَغْرُودَةً وَنَارًا وَقَلِّ
لِي عَنْ جَنُونِ الْحَرْفِ هَذَا كَيْفَ يُشْفَى بَلْ كَيْفَ أُطْلَبُ لِدَائِي
، شِفَاءً وَهُوَ دَوَائِي ، مَخْبَرْنِي عَنْ ذَاكَ الشَّوْقِ الَّذِي لَيْسَ يُدْنَسُهُ
التَّوْقُ بِأَبْعَادِهِ الدُّنْيَا ، عَنْ ذَاكَ الْوَجْدِ تَنْتَشِي لَهُ الرُّوحُ سَكْرَى
وَتَهْفُو لَهُ خَفَقَاتُ الْوَجْدَانِ مِثْلَمَا تَتَعَالَى النَّفْسُ لِسَمَاعِهَا نَشِيْجَ
نَايٍ

حَدَّثَنِي عَنْ الْحَرْفِ يَسْرِي غَصَّةً فِي الْحَلْقِ وَلَذَّةً تَنْتَشِرُ بِهَا
الرُّوحُ ، وَشَرْقَةً دَمْعٍ لَا يَنْكَسِبُ .

الأمر

محمد المهدي المهدي

لا يتعلّق مبحث السياسة بأشخاص الناس بل بأفعالهم ، فهو يهتم : أولا ، بطرق إنشاء الفعل وذلك بالبحث في الطاقة البشرية ، والمواد الأولية ، والتقنية الآلية . ثانيا ، يهتم بطرق تيسير إنجاز الفعل ، وذلك بالبحث في القوانين والمؤسسات وإحكام التسيير الإداري . ثالثا ، يهتم بطرق مراقبة وحصر منتوج الفعل ونتائجه ، وذلك بتنظيم التوزيع والتحويل والتبادل ومراقبة مؤشرات التنمية انخفاضاً وارتفاعاً وتحديد الأسباب . رابعا ، يهتم بطرق حماية المنتج ونظام الإنتاج ، وذلك بدعم الأمن الداخلي والإحتراز - بالوسائل الكفيلة - من العدوان الخارجي ، وترسيخ نظام إجتماعي تلقائي ، وهو ما يسميه ابن خلدون بالإنزاع الداخلي كالأنظمة الدينية والعرفية والأخلاقية ، وهذه توفر للمجتمع مناعته الداخلية .

ويبقى المبحث الأول رهين الإجابة عن سؤال ، يتعلّق بالأصول النظرية لعلم السياسة : كيف ينجز الإنسان فعله عن روية واقتدار ؟ لأن بالإجابة عن هذا السؤال، نكون قد بررنا القاعدة الأساسية التي يقوم عليها هذا العلم وتتمثل في حديثين يفترض أحدهما الآخر : الحرية ، والمسؤولية . إذ عندما نقوم بفعل ما ، فإننا نتخبره بين جملة من الإمكانيات : وقد نفعل ما نعتقد في أنه يضرنا ولكنه ينفع غيرنا ممّن تربطنا بهم صلة عصبية ورحم ، بل قد نقدم على الانتحار ونحن على وعي بأنّه لا نفع فيه لأحد ، وأنه مناقض تماما لطبيعة الحياة . وبالإضافة إلى كل ذلك ، فإننا قد نقدم على بعض الأفعال بدافع التحديّ وبدون تقدير للنتائج . أو نلزم بفعل ما

خضوعاً لأمر شخص نحترمه أو نثق فيه أو نخافه وبدون أن نتساءل عن نتيجة ذلك الفعل .

ثم إننا نضع أنفسنا في كل أحوال وعينا ، ومهما اختلفت نوافع أفعالنا موضع المسؤول ، الذي يفرح بنتيجة حسنة ليحني ثمارها ، ويستاء لنتيجة سيئة ، فيتحمّل ما ينجر عنها من عواقب . كما قد نصاب بالإحباط عندما لا يؤتي الفعل أكله ، وقد نندم أشدّ الندم عن خطأ في التقدير لفعل ما ، أو لعدم فعله .

فاعتقاد الإنسان كونه مسؤولاً عن تقديراته وعن نتائج أفعاله ، يجعل منه كائناً يفتخر بمنتوجاته ويتباهى بحريته ويسمو بنفسه على كل الموجودات . بل كائناً يتعاضم ، ويزداد حجمه بقدر ما تنتشر آثار فعله وتثقل مسؤولياته .

ولكن ، كيف تتم البرمجة داخل هذا الكائن البيولوجي الناطق حتى يصدر عنه فعل ما ، ثم نقول فيما بعد أنه قد أنجزه عن حرية وروية ومسؤولية ؟

ينضج الفعل الإنساني انطلاقاً من ثلاث مراحل أساسية : القاعدة البيولوجية ، مرحلة التقبل ، مرحلة المسؤولية .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.net>

(1) القاعدة البيولوجية :

توجد الكائنات الحية في هذه المرحلة الأساسية على هداية فطرية وعلى علاقة مباشرة بالطبيعة ، وهي تخضع لأمر أصلي بالكينونة : « كُن » إذ بمجرد أن تحدث في الكون حتى تجد نفسها ملزمة بقانون يعمّ كل الأحياء هو قانون المحافظة ، ويمكن صياغته كالآتي : « كل موجود حي له طرق كافية تخصّه ، تمكنه من الاستمرار في الوجود ، يستمدّها من ذاته وتؤثر سلباً في غيره وإن تتغيّر هذه الطرق إلا ويتبّع ذلك تغيّر في الذات ، إلى أن ينقلب الموجود إلى كائن آخر أو جزء من كائن آخر أشمل ، فيفقد بالتالي خصائصه التي كانت له بالكامل ، ويبطل تأثيره السابق ، لتحدث له خصائص أخرى . ولا يقع هذا التغيّر الطارئ إلا بفعل تأثير خارجي . وكل كائن يستمدّ حقه في الوجود من خصائصه الذاتية ، فإذا بطلت بطل هذا الوجود الخاص » وينتج عن هذا القانون ثلاثة مبادئ

أساسية للفعل :

1 - مبدأ الحماية :

ويصاغ كالتالي : « يسعى كل كائن إلى حماية نفسه من الداخل ، وذلك بدعم التكامل الوظيفي ، ومجابهة التفكك ، تحت قاعدة : من كل حسب طاقته اختصاصا وقدرة ، ولكل حسب حاجته استهلاكا وإعدادا »

2 - مبدأ المدافعة :

ويصاغ كالتالي : « يسعى كل كائن إلى توفير غطاء عازل لصد كل تأثير خارجي ، وإبطال فعله في الذات وتحويله إلى مكسب إن أمكن ذلك » ، فهذا المبدأ يوفر المناعة الداخلية لكل كائن حي .

فالكائن عندما يوجد ، لابد له من حماية والحماية تؤدي إلى المدافعة ، وعن المدافعة ينبثق مبدأ آخر هو مبدأ التحييد أو إبطال التأثيرات الخارجية . والتأثير لا يصير مكسبا إلا بعد قطع علاقته بالخارج .

3 - مبدأ التحييد :

هذا المبدأ يعزز المناعة بالتصدي الخارجي . ومهمته إبطال تأثير كل ما يرد على الذات (أو ما يُحتمل أن يرد عليها من العناصر الخارجية المختلفة) ، ويمكن صياغته كالآتي : « اتباع الطرق الكفيلة بشلّ القدرات المعادية للكائنات الأخرى ، أو ما يمثل مصدر عداا والتصدي لها بكل الإمكانيات الذاتية لتفادي تأثيرها » وللمبدأ الأخير طرق مختلفة تقتضيها ضرورة التكيف مع الأوضاع المختلفة والظروف الزمنية المتباينة : كاللجوء إلى المحاربة ، أو التمويه والخداع ، أو إظهار الخضوع والخدمة ، أو التظاهر بالقوة والقدرة على إلحاق الضرر ، أو في حالة الاتفاق (بين أفراد من الناس أو مجموعات) ، اللجوء إلى قوانين ومؤسسات منظمة أو إلى حالة الديمقراطية : وذلك بتحرير التنافس السياسي في كل أشكاله ما عدى الشكل الحربي منه ، وذلك بامتناع الجميع عن ممارسة سلطة القوة والقدرة على الإضرار . والتنافس في القدرة على النفع والإقناع بالطرق المؤدية إليه

والَّذي سيوجّه الكائن الحي إلى مطابقة فعله على هذه المبادئ وهذه القواعد ،
دافعان أساسيان وأصليان ، تتوحد عنهما كل الدوافع الأخرى : وهما ، الرغبة
والخوف .

وهذان الدافعان يمثلان الطاقة الحيوية المحركة التي تنشأ عنها مباشرة أو بطريق
غير مباشر كل أنشطة الكائن الحي .

والرغبة هنا بمعناها العام تتمثل في تشوّق الكائن الحي للملكية :
أولاً ، في أن أشعر بأن وجودي ملكا لي ولا يشاركني فيه أحد ، ثم أن يكون ملكا
لي كل ما تحتاجه الذات ثانيا . وأخيرا أن أحقق أمني في استمراري الفردي
والنوعي (الجنسي) ، أي أن أحافظ وأحتفظ ما أمكن بما أملك .

أمّا الخوف فيتمثل في القلق الباطني على إثر الشعور بإمكانية أن ، أفقد مكسبا من
هذه المكاسب التي توفرت للرغبة ، في أي لحظة وبون سابق إشعار ، والسبب في
ذلك ، إمّا طبيعي ويتمثل في حتمية الموت والفناء ، وهذا لا قدرة عليه إلا نسيباً
بواسطة التناسل . وإمّا حيويّ ويتمثل في الصّراع بين الأحياء ، وذلك لأن دافع
الرغبة يمتلكه الجميع ، ويقوى مع الحرمان ويخفت (يضعف) مع الإشباع .

والخوف والرغبة ليسا بالمتفصلين ، بل دافعان يخدم أحدهما الآخر . فالخوف
يعدّل في قوة الرغبة لتصير رغبة حذرة ، والرغبة تعدّل في حدة الخوف ، فيصبح
الخائف مترعصاً . وقد يطغى دافع على دافع إلى حدّ التطرّف ، لتتقلب الرغبة إلى
تهوّر وجموح واندفاع هجومي مستमित . وينقلب الخوف إلى جبن وانحصار وهروب
من كل مجابهة . والدافع لا يزيد وينقص على هواه ، إنما المتصرّف فيه قوة وضعفا
إنما هو القانون الأصلي أي قانون المحافظة ، الذي ينصّ بأنه كلما كانت الحياة
مهددة كانت الرغبة أقوى .

فلو أخذنا - مثلاً - أكثر الناس جبناً ، لو جدنا أن أقصى ما يخاف منه هو الموت
فلو أننا تدرجنا في إيلاهم شيئاً فشيئاً دون أن نقضي على قدراته الدفاعية ، وأشعرناه
بأنه سيفقد كل شيء يخاف عليه ، وفي آخر المطاف سيفقد حياته ، قد لا يصدّقنا

في الأول ويظن أن كلجاء ومنجاته في الخوف ، ولكن عندما يتأكد من جدّيتها ، ويتحسّس أن الخناق يضيق عليه شيئا فشيئا باستمرار ، فإنه سينقلب عندئذ - بلا شك - إلى رجل شجاع ، وقد تتجاوز شجاعته مقاييس الشجاعة ذاتها ، فيتحول إلى وحش كاسر يمتطي الموت ويحارب به .

وعن الخوف والرغبة وامتزاجهما أو طغيان دافع منهما على الآخر تنشأ كل المشاعر والعواطف البشرية ، وهي لا تختلف عن أحاسيس الحيوان إلا في ناحيتين : الأولى ، في كون الإنسان يقدر أن يطابق كل شعور بموضوع ، الناحية الثانية : يستطيع الإنسان أن يضيف - بفضل اللغة - إلى كل شعور معنى ما ، وهذا المعنى يجعل الشعور أؤكد في الذاكرة وأوضح في الفهم .

لا يخلو جسم حي من الناحية البيولوجية عن مثل هذه المبادئ والنوافع ، والتي تعود كلها إلى قانون المحافظة على الحياة .

وكما أن الجسم يتكوّن من خلايا ناشطة وتتسم هذه الحركية بالتكامل الوظيفي ، فإن الشعب الواحد ، أو أي مجموعة من الأحياء تصل إلى تحقيق مثل هذا التكامل لا وتعتبر كجسم حي كامل البنية حيث يكون الفرد العامل فيه كالخلية الحية في الجسم .

ونشاط الكائن الحي في المرحلة الحيوانية إنما يخضع لأمر واحد ، يسند لمبدأ المحافظة مفاده : « افعل بخصائصك الذاتية كي تستمرّ في الحياة » . فالكائن - سواء كان فردا أو مجموعة - بمجرد أن يوجد ، توجد معه هذه الخصائص المفيدة في الاستمرار . وتظهر هذه الخصائص بمجرد أن يحتاجها الفرد في حياته ، ولما كانت هذه الخصائص جنسية (بمعنى نوعية) وليست فردية ، أي هي مشتركة بالتساوي بين أفراد النوع ، كانت الوصاية الجنسية غالبية على الأفراد ، وموجّهة لهم ومهيمنة على تصرفاتهم حسب قانون عام ، هو قانون المحافظة ولكن في هذه الحالة تكون المحافظة على النوع برمته إذن ، فالأمر بالفعل لدى كلّ كائن حي إنما هو أمر يتجاوز فرديته إلى نطاق أعم هو مجال النوع برمته ، وهو أمر طبيعي لا يخلو منه كائن حي . وهذه البرمجة داخل الحياة (وهي لا تخلو من

معنى الإرشاد والهداية إلى نشاط معين) إنما تعود إلى أمر إلهي يسكن الحياة يبعثها وينميها ، تسيطر به وهو مسيطر عليها .

(2) مرحلة التقبّل :

لا يختلف الإنسان عن بقية الكائنات الحيّة الأخرى ، وجسده تحكمه نفس المبادئ غير أن ضرورة التكيف الاجتماعي وحاجة الناس إلى التبادل المعلوماتي ، جعلهم يلتجئون إلى خاصية ينطوي عليها مبدأ التحديد ، تتمثل في مالهم من قدرة على إنتاج الرموز ، بغرض تبادل المعلومات المفيدة في تسيير الحياة والمحافظة عليها . والكلام ليس غريبا عن الأجسام الحية من جهة كونه صوتا ، لأن كثيرا من الحيوانات تصدر الأصوات المختلفة والمتنوعة ، ومعظمها تنفعل للصوت ، ومنها ما يستعمل أصواتا مختلفة بغرض ترجمة حالات نفسية يتعدى مدلولها إلى الحيوانات التي تسمعها فتستجيب ، بطريقة مالها .

ولو أننا قمنا بتدريسيها للاستجابة لبعض الأوامر : بالمجيء ، أو بالذهاب أو بالتمرغ على الأرض ، إلخ . فإنها لن تلبث طويلا حتى تخضع للأمر .

وقد تبدو المسألة فيما بعد بديهية أو بسيطة ، ولكنها فينتهي واقع الأمر تتطلب تفسيراً : فكيف تتحكم كلمة واحدة في هذا الجسم الضخم للجمال أو للغيل أو للخليل ، عندما نأمرها بأن تنزل على ركبتيها لتركبها ، وعندما نأمرها بالمجيء أو بالذهاب أو القيام بأنشطة كثيرة ومختلفة ؟ . إذن يمكننا تحريك هذه الأجسام المنفصلة عنا انطلاقاً من هذه الكلمات التي نصيغها في شكل أوامر ، على النحو الذي نريده . ولنا من ذلك نتائج :

1 - إن الجسم الحي يتفاعل مع الصوت تفاعلاً سحرياً : يصدره وينفعل له ويطنئن إليه ويستأنس به .

2 - إن الصوت الذي يصدره الكائن الحي ينتج عن انفعال بدافع الرغبة أو الخوف .

3 - نجحت بعض الحيوانات في استخدام الصوت وتنويعه بعد أن كان إنفعالا

ألياً . هذا الإستخدام قد حمل الصوت مقاصد ، بقيت مرتبطة عند الحيوانات بالحاجيات البيولوجية ارتباطاً مباشراً .

4 - تنوع الحاجيات وتوالي المقاصد المتنوعة لدى الإنسان ، وحاجته الأكيدة لتبادل المعلومات بغرض التفاهم ودفع العنوان ، دفع به إلى استخدام أصوات مرنة استخداماً أداتياً ممّا جعل مقاصده لا ترتبط ألياً بما تحدّثه النوافع البيولوجية من انفعالات.

5 - كانت الأصوات الحيوانية بمثابة النتيجة التي تحيل إلى سبب ، أو أثار تحيل إلى مثير . فالحيوان عندما يكون فرّغاً يصدر صوتاً ما ، لا ليُعلم غيره بأنّه مرعوب ، بل لأن ذلك الصوت ملازم لتلك الحالة ، ونظراً لهذا الإقتران الموجود عند كافة أفراد النوع ، فإن البقية عندما تسمع الصوت ينتابها نفس الفرع فتصدر جميعها ذلك الصوت بعينه .

أمّا الإنسان فله سلطة على لفته يوجّهها كيفما يريد ، هذه الإرادة في الاستخدام نحو هدف معين تعبر عنها بالقصدية . والقصدية تخدم دافعي الرغبة والخوف بطريقة مباشرة صريحة أو غير مباشرة

6 - إن لغة الإنسان المتمفصلة إلى كلمات وحروف تمثل ترجماناً تزيد أمانته وتنقص - حسب الظروف وحسب طريقة الإستعمال ومدى التحكم في المعاني - للغة أصلية هي القصدية ، وهي طريقة بيولوجية لتبادل المعلومات ، لا نعلم عنها الكثير ، وإن يوجد من الظواهر ما يدلّ على وجودها : ففي بعض الأحيان مجرد نظرة من شخص قد تطلعك عما يُريد ، وقد تكشف لك عن العديد من الرغبات التي يحاول هو إخفاؤها ، وذلك دون أن ينطق بأي كلمة .

وتوجد هذه الحالة خاصة عند التوائم أو الأمهات وأبنائهم فهم قد يتبادلون المعلومات بطريق تبادل النظرات أو الاستشعار عن بعد ويكون حاجة إلى الكلام . وعاطفة المحبة إذا قويت بين شخصين فإنها تؤكد مثل هذا التواصل

والقصدية التي ترتبط بدافعي الرغبة والخوف هي تعبير نفساني خفيّ ، ينشأ

عندما تتحدّد الرغبة بموضوعها أو الخوف بموضوعه في التّصور ، وينشأ عن ذلك حكم ما مؤثّر في السلوك وهو كالأمر للكائن بردّ الفعل بطريقة ما . هذا الأمر يقع ترجمته في درجة ثانية إلى كلمات دالة .

والجسد الإنساني عندما أسكن اللّغة داخله ، حاجة اجتماعية ، استأنس بها ، واطمأنّ إلى نجاعتها في توفير الأمن له ، وأصبحت له القدرة على أن يمتزج بالمعنى إلى حدّ بعيد ، حتى أننا نجد له تعبيرات غريبة تماما عن انفعالات الحيوان وربود أفعاله ، نلاحظ ذلك عندما نتكلّم ويخاطب بعضنا بعضا ، فنستخدم أعيننا وتقاطيب وجهنا وارتعاشات أجسادنا وذلك لتوضيح المعنى وتجليّة التعبير . ولعلّ كلامنا هذا يجد له دلالة بارزة في حركات الأبكم . غير أن الإشارات التي يستخدمها ، إنما هي بمثابة اللغة المركّبة على اللغة الصوتية . لأن الأبكم يتعلّم هذه الإشارات من المتكلّمين ثم يقوم بتطويرها بدافع الحاجة الملحّة ، ثمّ يعلمها لأبنائه .

إذن ، أساس المعاني التي تحملها إشارات الأبكم إنما هو لغوي ، لأنه يمتنع استعمال هذه الإشارات خارج مجتمعه يتبادل أبنائه الكلام الصوتي .

والإنسان عندما يتكلّم فإنه يستعين على توضيح مقاصده بتعابير جسدية يقرنها بالكلام الذي ينطق به ، فيأخذ الأبكم هذه الإشارات المشبعة بالمعنى ويطوّر فيها ثم يستغلّها لتبادل المعلومات ، وتستقرّ في نفسه وكأنما هي كلمات مجسّمة ليس لها صدى صوتي ولا مقاطع وإنما هي في أرقى أشكالها تتمفصل بحسب الحركات :

ولا يجدر إطالة الحديث بهذا الصدد عن لغة الإشارات إلّا لرفع اللبس ، لأنها من درجة ثانية مركّبة على اللغة الصوتية . كما أن البكم ليس أصلا في بني الإنسان بل هو استثناء وهو إعاقة على الطبّ أن يبحث له عن علاج يزيله . لذلك تبقى كل الأحكام الصادرة بحق الكلام مرتكزة على الظاهرة الصوتية الدالة فقط ، لأن الذي يستنتج أحكاما بالقياس إلى إعاقة إنما هو يقيس الأفضل على الأسوأ ، وحوّل هذه الإعاقة إلى قواء الذهنية ليعمّمها في الواقع . كجزم الحكم - مثلاً - بأن

القدرات العقلية مستقلة عن اللغة بدليل أن هذه القوى موفورة لدى الأيكم وهو لا يتكلم ، في حين كي يصدق عندي هذا الحكم يجب أن أكون أبكما ولكنني إذا كنت كذلك فيمتنع علي أن أصدر هذا الحكم . وهكذا نبقى في دائرة مغلقة سببها اعتبار الإعاقة - التي يجب إزالتها أو التخفيف منها - أصلا والسلامة استثناء . وآخر قول في هذا المضمار : أن الأيكم يتعلم إشارات من المتكلمين ثم يطورها لأنه أكثر احتياجا إليها . وأن الملكات الذهنية التي يكتسبها الأيكم إنما هي ملكات صناعية تعود أساسا إلى التكرار والعادة والمحاكاة وأن قدرته على التفكير المجرد تبقى ضعيفة جداً .

وإذا ثبت أن الإشارة الدالة مركبة على الكلام وتالية له ، فذلك يعني أن دلالة الكلمة أسبق على دلالة الإشارة وهذا بخلاف ما كان يُعتقد . وأن الإشارة هي خاصية فريدة من جملة الخصائص العقلية الأخرى للغة .

وأن جسد الطفل في عصر الحضارات يختلف كثيرا عن جسد الطفل البدائي ، من حيث أنه صار أرضا خصبة لتلقي اللغة بكل يسر والتفاعل معها على نحو يجعل الامتزاج بينهما يشتمل بالبداهة والقراءة النوعية .

فالجسد الصغير للطفل يستسلم مبكرا إلى أوامر اللغة متخلصا شيئا فشيئا من سيطرة الأمر الطبيعي المباشر . ومن ثم تنمو الكلمة داخله وتضرب بجذورها في الأعماق وتبدأ عند التحامها بالقصدية في تحمل مسؤولياته والتشكل داخله على نحو شخصية وبنية نفسية متكاملة هي **قرين لغوي** ، ينمو ليتحول إلى عقل مكتمل ثم إلى فكر ثم إلى حدس ينكشف على النور الإلهامي .

إن الكلام الذي سيتلقاه الطفل من مخاطبه ، منذ وعيه المبكر بدلالات اللغة يصاغ في صيغة أوامر : أوامر بالتنفيذ ، وأوامر بالزجر وأوامر بالتحذير ، وأوامر مشروطة كقولنا : لو تفعل كذا سأعاقبك (أو سأجازيك) ، ولو تمتنع عن فعل كذا سأجازيك (أو سأعاقبك) . وأوامر بالاستفسار ، وأوامر تخص الاستلطاف : ابتسم لي ، قبلني ، دعني أقبلك ... الخ .

وكلما كان صاحب الأمر ذو سلطة أدبية ومادية على الطفل (كالأب) إلا وكان تنفيذ الأمر أؤكد من عدمه . ولما كان جسد الطفل - قبل حدوث اللغة فيه - مبرمجاً لتنفيذ أوامر طبيعية بيولوجية بدافعي الرغبة والخوف ويكتمل الحكم بالأمر الجاهز للتنفيذ ، عند القصدية ، فإن أي أوامر أخرى ستجد معارضة منه ، ولكن عندما يطمئن الجسد إليها إطمئنانه لأمه وأبيه ويتحسس أن عصيانها يجلب أشكالا من الألم ، وأن الخضوع إليها يوفر الأمن والاستعداد : فهي تجنب الطفل الأخطاء في حق نفسه نظرا لقلّة درايته واتساع دراية من يأمره ، أو الغلط في حق غيره مما يجزّ عليه أساليب مؤلمة من التأديب .

فإن هذا الجسد الذي سينفعل لأوامر لغوية يطلقها الأب أو الأم أو كل من له سلطة على الطفل ، سيتعلم هذه الأساليب اللغوية للأمر ويستخدمها لغاياته أي لتعديل سلوكه ولإحداث الحركة القصدية في جسده ، حتى تنسجم هذه الحركة مع ما يقتضيه المجتمع . وفي هذه المرحلة يصير الجسد مستخدما للغة لأجل حياة أمنة في المجتمع ، وتصير هذه الأوامر المستبطنة بمقايير القوانين الداخلية النافذة الفعل يتمثلها الطفل في صورتها الزاجرة والعنفية إن كرها أو طوعا ، ويبدأ من ثم في بناء البنية الأولى لشخصية وهي تنطلق من قدرته (إستنادا إلى هذه الأوامر) على التحكم في سلوكه .

هذه الأوامر اللغوية المتمثلة ، أي التي يحتفظ بها الطفل في ذهنه كجزء منه ، ستضعف الأوامر البيولوجية المرتبطة بقانون المحافظة على الذات وستكون لها سلطة عليها ولكنها لا تبطل فاعليتها . فبمجرد أن تصبح هذه الأوامر اللغوية غير مفيدة في تحقيق الأمن للجسد وفي إشباع رغباته حتى تختل نفسية الإنسان وتضطرب ملكاته العقلية يعلن الجسد بأن هذا البناء اللغوي غير مفيد . ويحدث هذا غالبا عندما تقوى الرغبة والخوف معا إلى حدّ القلق والاضطراب ويعجز الإنسان عن مقاومة ذلك بالأوامر اللغوية ، نظرا لتدخل البنية النفسية بالتشكيك في صلاحية هذه الأوامر وفائدتها ، أو نظرا لعدم إطمئنان الجسد إليها بالكامل

عند الصغر لغياب المربي أو لوجود مربّي غير مرغوب فيه . ولا يُعالج هذا الإنسان إلا باستبدال بنيته النفسية وتغيير ما بها من أوامر قبل استئصال الأمر ، وغالبا ما يقع هذا الاستبدال بواسطة أشخاص لهم سلطة نافذة : كالأنبياء والرسل والصالحين ، والمُعلّمين والأطباء النفسانيين ... ؟

والذي يريد أن يتأكّد مما أقوله عليه أن يكون على علم كاف بما يجري في مجال التنويم بواسطة الإيحاء (والذي قد يعبرّ عنه بالتنويم المغناطيسي) وأي شخص له مميّزات صوتية معينة ، يستطيع أن يقوم بهذه التجربة بكل نجاح : فإذا اطمئن إلى حديثك شخص ما ، واستمع بانتباه إليك ، فوجد في قوئك وفي صوتك متعة ، فإنه يكون هدفا سهلا لإيحاءاتك .

وإذا نجحت في تنويمه بمجرد أن تأمره بالنوم وتكرّر هذا القول الأمر العديد من المرات مشفوعا بأوامر أخرى تُشعر بالأمّن والإطمئنان والاسترخاء والراحة مع كل إغفامة . وعندما ينام على إيقاع أوامرك فقط ، فإن جسده سيصبح في أثناء نومه ملكا لك تحركه كيفما تشاء وتأمره بما تريد فيلبي ذلك بلا تردد . بل باستطاعتك أن تتحكّم في حواسه ، فتغيّر في مذاقه للأشياء وفي سمعه ولسه ويصره وبالتالي يكون لك سلطة تكاد تكون مطلقة على تقديراته وأحكامه العقلية . ووسيلتك لبلوغ ذلك لا تتعدّى الكلام فقط وبالأحرى الأوامر .

ولتفسير هذه الظاهرة أقول : أن أجسادنا قد سكنتها اللّغة منذ نعومة أظفارنا ، وقد استسلمت قوانا الدفاعية البيولوجية لهذا العنصر الغريب بشكل شبه تام ، فأضحت هذه الأجساد كتلة حية تجد عقلها وروحها في اللغة والتي سيكون لها فيما بعد السيطرة والسلطة شبه المطلقة على الجسد . وستتحرك الأجساد انطلاقا من أوامر لغوية كما تتحرك انطلاقا من أوامر بيولوجية طبيعية .

ويتسلّل صوت المنوم إلى مركز القرار داخل الجسد (في القصيدة) عند كل أمر يطلقه للنائم بالنوم ، فيستجيب هذا الأخير - رغم ما يديه في بعض الأحيان من مقاومة تضعف شيئا فشيئا . والأمر بالنوم من الأوامر التي سرعان ما يأتس

إليها الجسد ويتفاعل معها ، لأنه قد مرّت على كل فرد منا فترة من الزمن لا ينام إلاّ تحت لمسات أمه وأمرها له بالنوم . فإذا نام الشخص بفعل أمر المنوم ، فإن سلطته على جسده تضعف ، إذ الأمر الدخيل الصادر عن الجسد المنوم هو أقوى تأثيراً لأنه يصدر عن شخص واع وقد نجح في اختراق وسائل دفاع الجسد النائم بمجرد نومه .

(3) مرحلة المسؤولية :

يبتدىء إذن وعي الطفل بالتشكّل انطلاقاً من هذه الأوامر ، التي ستمثل قاعدة لغوية للوعي . ثمّ عندما يشعر بالحرمان من الإشباع التام لكل رغباته ، ويلاحظ أن من الناس من توفّرت له مثل هذه الرغبات ، سيشرع في تقبّل أوامر أخرى تدعو - على نحو ما - إلى هذا الإشباع ، غير أنها تكون أقل إلزاماً من الأوامر الأولى ، إذ ستجد معارضة من الداخل والخارج لذلك قد تجرّ أشفكالا من الألم ، بالإضافة إلى أنها غير صريحة وأن الذي يأمر بها إنما يأمر بها عن احتراز أو رد فعل ، زد على كل ذلك أن السعي أو الدعوة لإشباع رغبات الناس كل على حدة إشباعاً تاماً هي دعوة مغرية وتجذب لها أذناً صاغية ولكن تحقيقها في الواقع غير ممكن بل مستحيل ، وإن أي محاولة لتجسيدها بشكل عنيف ، تهدّد الجنس البشري برمته ممّا يجعل هذه الأوامر في تناقض مع القانون الطبيعي .

غير أن لكل إنسان الحق في أن يطرح في قرارة نفسه سؤالاً مشروعاً بحث عليه شعوره بالفردانية : لماذا كُتب عليّ أن أضحيّ أنا ليسعد غيري وأن أحرم لبيتمّ هو ؟

هذا التساؤل سيضطّر الوعي إلى قسمين ، الأول سينحاز إلى الآراء الموافقة تماماً لحاجياته ورغباته ، والقسم الثاني سينحاز إلى ما هو ممكن اجتماعياً . وسيبدأ كل شطر بتدعيم موقفه وتبريره بما يتوفّر عليه من دوافع وحجج وقناعات ، وهكذا ستتوافد على مركز القرار في كثير من الأحيان أوامر بالسلوك في اتجاهات متناقضة ومتدافعة ، مما يرهق الإنسان ويؤثر أعصابه ويضخم قلقه .

وبما أنه لا يخلو إنسان من الدوافع البيولوجية التي هي أصلية وطبيعية ، كما لا يخلو إنسان من الإلزامات والضغطات الاجتماعية ، فإن كل فرد سيبحث له عن موقف يحدّد به : << كيف سيسلك في المجتمع حتى يكتسب القدر الأكبر من حظّه الممكن في هذه الحياة ؟ >> .

والناس بإزاء هذا السؤال على أنحاء شتى غير أنهم - رغم اختلاف توجهاتهم - يتمتعون بمسؤولية كافية كي يتحمّلون نتائج أعمالهم ، لأن لهم القدرة في أن يأمرؤا أنفسهم بفعل ما ويضده ، فهذا الاختيار بين أمرين ممكني التنفيذ ، يجعل الإنسان متعاليا في قراراته وليس عليه بعد ذلك سوى أن يروى في اتخاذها لذلك فإن العلم بخصوصيات الأفعال وبتنتاجها القريبة والبعيدة من شأنه أن يرشد القرار وينير طريق الإنسان .

سينبري لتهينة هذه المعرفة وهذا العلم الخاص بإدارة طريق الناس حتى تتمّ قراراتهم الاختيارية على هدى من أمرهم وعلى دراية بنتائج أعمالهم ، رجال يشقون في بحوثهم منهجين مختلفين : المنهج البيولوجي والمنهج التحليلي .

1 - المنهج البيولوجي :

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

هو منهج تركيبي ديناميكي ، يقوم على مبدأ موازنة المجموعة بالفرد إذ أن الجماعة التي ينتظم نشاط أفرادها داخل أنظمة إدارية عامة ، بحيث تحقق تكاملا وظيفيا يتوحد حول أغراض وأهداف مشتركة ينتفع بنتائج مجموع الأفراد كل بحسب ما يقدّمه من خدمة بالنظر إلى موقعه من مركز القرار ، هي كائن حي متكامل .

هذه الجماعة تُعتبر فردا ويصدق عليها ما يصدق على الفرد من أحكام وينسحب عليها قانون المحافظة على الحياة ، والمبادئ المذكورة بشكل مطلق ويجب على هذه الجماعة أن تحمي نفسها حتى لا تكون هدفا سهلا للجماعات الأخرى . وأؤكد الوسائل المفيدة في الحماية تتمثل في دعم اللّحمة الداخلية بواسطة تعاليم قيمة (و دينية) تشدّ الأفراد بعضهم إلى بعض وتشعرهم بأنهم في خدمة أهداف

سامية تعلو على الجميع وأن تحقيقها والسعي إلى ذلك يخدم الجميع . وكلما كانت هذه التعاليم ناجحة في منع استبداد أفراد على أفراد آخرين في الجماعة الواحدة ، وكبح السلطات الفردية الساعية لتحقيق أهداف خاصة ، وتحجير العدوان ، كلما كانت أكثر إقناعا للأفراد وكانوا أكثر التزاما بالتشبث بها . والدافع الخلفي والاساسي لذلك ، هو قانون المحافظة على الحياة .

أنصار هذا المنهج يدعون إلى دعم التكتلات الجماعية . لأن الفرد بالنسبة إليهم قد وُجد وهو منفتح على المجموعة ، وأن بعضهم يجذب إلى بعض بحكم بيولوجي نظرا لتشابه تركيبتهم الفيزيولوجية ولاحتياج الإنسان أثناء صفوه إلى زمن طويل من الحماية والرعاية . وإذا كان الأفراد يلتئمون في مجموعات بحكم الطبيعة ، فإن على المجموعات أيضا أن يوجد فيها قابلية الائتلاف في شعوب ، وتلتئم الشعوب في أمم ، وأن تلتئم الأمم في مجتمع إنساني عام .

وكما يعود الفرد إلى خلية واحدة ملقحة تتوالى انقساماتها ثم تجتمع لتكوّن كائنا حيا هو الإنسان . فإن أساس «اللقاء» في الجماعات هو توافق الرأي حول المصالح المشتركة والتمسك بعقيدة تتفق مع هذه المصالح وتعزز أمن الجماعة عندما توفر شروط الاجتماع والوحدة والتكامل وتقوي الحماية ونزعة العصبية والتي تعني الحملة العاطفية . والمعتقد الذي لا يكون يكون مفتوحا على مصلحة الجنس البشري برمته فإنه يقضى عليه بالانحصار والاندثار بمجرد حدوث ما يزاحمه من معتقدات أفضل تكون أكثر إقناعا وأسرع انتشارا . والواقع يشهد بانحصار المدّ اليهودي أمام المدّ المسيحي ثم بتناقص المدّ المسيحي أمام المدّ الإسلامي كما يشهد بأن هذه الديانات السماوية الثلاثة قد قضت على معتقدات كثيرة فشلت في مسايرة قانون الحياة بالنسبة للجنس البشري برمته ، واتسعت على أنقاضها لتضم كيانات متنافسة هي الأمة اليهودية والأمة المسيحية والأمة الإسلامية ولورُفع على هذا التنافس كل وصاية عسكرية ورقابة بوليسية من الأطراف الثلاثة ، وسُمح للجميع بالتبشير إلى ديانتهم بحرية مطلقة على أن تكون الرقابة مرفوعة من الجميع بالقدر

نفسه ، فإن الدين الذي سيقضي على الأديان الأخرى بالإنحصار والإنكماش هو الدين الذي ينسجم مع قانون الحياة ويوفر المنفعة لكافة الجنس البشري ، لأن الإنسان إذا خَلَّى سبيله ومنع عنه كل ضغط من السُّلط فإنه لا يعتقد من الآراء إلا ما يفيد في حياته ويعزّز أمنه النفسي الداخلي ، والخارجي .

هذا المنهج هو الغالب في الواقع الإنساني لأنه مستمد من الفطرة ، أي من البيولوجيا ، فالإنسان لا قدرة له على العيش في العالم البشري إلا ضمن تجمّعات ، والتجمّعات تحتمي داخل تكتلات أشمل وأوسع ، ولا تتفكك هذه الكيانات إلا بتأثير خارجي فتدخل في تكتلات أخرى أصلب وأقدر على الاتساع والاستقطاب .
ويُعتبر الأنبياء والرسل نماذج مثالية لأنصار هذه النزعة ، وهم يدعمون تصوراتهم بارتكازهم إلى فطرتهم وبارشاد إلهي بواسطة الوحي والاستهداء المباشر بقانون الحياة الذي هو أمر إلهي أيضا .

2 - المنهج التحليلي :

وهو المنهج الغالب في الدراسات السياسية النظرية ، ويتخذ أنصار هذا المنهج من الطبيعة الجامدة وما يحكمها من قوانين أنموذجاً لبحوثهم . وكما وقم تفجير المادة إلى ذرات وتفجير الذرة إلى جزيئات فإن هؤلاء يدعون إلى فك الروابط الإنسانية ، وإلى تفجير البنى النفسية للأفراد والعودة بالإنسان إلى ما سيسمونهُ بالطبيعة الأساسية أو الحالة الطبيعية . وهكذا ينتقلون من المركب إلى البسيط . ثم ينظرون في هذا الإنسان الذي يفترضونه خلّواً من كل مؤثرات اجتماعية وبيحثون فيما يمكن أن يتّصف به من صفات بسيطة فرأى هويز بأن العنوانية هي خاصيته ورأى ج.ج. وهويز بأن إنسانا كهذا لا يمكن أن يكون له أي تصوّر عن معنى الخير والشر لذلك فهو بسيط ومسال ، وعلى ضوء ذلك أنبرى هذان الفيلسوفان لتفسير تكوّن المجتمع وحدث السلطة فيه ، ورأى ابن خلدون في المسألة لا يبعد عما سلكاه من طرق نظرية ، ولكنهم قد اتفقوا في النهاية كما توصّل إلى نفس النتيجة من تأثر ببحوثهم كـ « لوك وسبينوزا وهيجل وماركس » على أن

الدولة وجدت منذ أشكالها الأولى في تبلور السلطة ، لتمدح الناس في المجتمع من
التحاضن والتقاتل . وهذا خطأ ، فالدولة تتكوّن بعد أن ينتظم المجتمع . ويمكن
القول بأن المجتمع المدني المنتظم يسبق الدولة وهذه تتكون نتيجة للتهديدات
الخارجية ، فهي قد وجدت في الأصل لحماية المجتمع من المؤثرات الخارجية
التي تهدّد بنيته التي سبقت في التشكل والإكتمال ، ولكن نظرا لتضخم سلطة
الدولة ونظرا للاحتكاكها المتواصل بالمؤثرات الخارجية فإنها تعدّلت في صورتها
وترتدّ على المجتمع بمالها من سلطة فتتغيّر في بنيته أيضا بما ينسجم مع صورتها
الجديدة التي اكتسبتها بفعل الضغوطات الخارجية . أمّا المجتمع فهو ينتظم
خارج السلطة على أسس من الأفكار والآراء والعقائد والتكامل الوظيفي .

فالدولة لا هي « عقل » للمجتمع كما رأى هيجل ، ولا هي « اثنين » جبار
كما يرى هوبز ولا هي « اتفاق تعاقدى » لحفظ مصلحة معينة . وإنما هي في
الأصل أداة ووسيلة للمجتمع يستخدمها لدل العدوان الخارجي . ثم في ما بعد ،
ولعدم توفر مؤسسات دستورية وقانونية ، تحفظ لها نوعا كالأداة ، تنقلب على
المجتمع فتستغل الأفراد وتتسلط عليهم وتمارس عليهم نفوذا كان من الواجب أن
تحتزنه لتمارسه في الخارج وقت الحاجة ...

ماركس قد دفع بهذا المنهج إلى أقصى مدى ، وهو يقيم مذهب السياسي على
اعتبار أسبقية المادة على الوعي في إحداث الفعل البشري . ويعتقد أن العلاقات
الاجتماعية إنما هي تخضع لقوانين مادية صرفة يحددها تطور وسائل الإنتاج وما
يحدث على إثر ذلك من تغيّر في البنى الاجتماعية وفي الوعي .

ومسيرة لنظرية « الوعي الثوري » وتجاوزا لسلبية ماركس التي ترى بأن
التغيّر يكون نتيجة لظروف سببية سابقة ، وهي حتمية تاريخية ، رأى المجددون في
الماركسية أنه لما كان الوعي نتاجا لتحولات مادية لوسائل الإنتاج ولعلاقات الإنتاج
أصبح ضروريا أن يتخلّص من الفائض لديه ، الذي يعيق التغيّر الثوري ، والمتمثل
في كل ما يمكن أن يشكل قيعة (دينية ، أو أخلاقية ، أو عرفية ، أو قانونية ..)

ولا يبقى فيه سوى ذلك النشاط الآلي المنسجم مع الحركية الاقتصادية والذي يُعتبر انعكاسا لحركية ثورية داخل علاقات الإنتاج تقوم بها الطبقة الصاعدة (البروليتارية مثلا) ويجد له ما يمثله في الوعي ويدفع إليه .

أراد ماركس والماركسيون من كل هذا ، تفجير المجتمعات وحلّ العلاقات السائدة بين الأفراد بل تفجير البنية العقلية والنفسية ذاتها ثم إعادة تركيبها على أسس جديدة ، وغاب عن فكر ماركس أنه يتعامل مع مادة حية لا مادة جامدة . وأن الإنسان الذي صنعه الحياة إذا ما فككناه إلى خلايا فلا يمكن أن يعود إلى ما كان عليه فضلا عن أن نركّب منها كائنا أحسن . فالمجتمع الذي يتكوّن تبعا لقانون الحياة ليس آلة عظيمة نحلّها ونعيد تركيبها فتصير آلة أخرى مختلفة أو نحركها تارة على شكل وطورا على شكل آخر .

— وما علينا في المجال السياسي سوى أن نكتشف القواعد التي تسيّر طبقا لها الكائنات الحية ونتطلع إلى قانون الحياة وخصائصاته . فنفسح له الطريق . ونصنع لكل الناس مجالا عاما من التناقص الحر في ميدان الخير ، وبسط الأفكار بشكل مطلق الحرية ، وندرس جميع السبل الممكنة لتفادي العدوان والظلم والتناحر ، ونشرع لها ونقرّ الأفضل منها %

التحليل النفسي والأمراض النفسية

بقلم : محمد الكشيري

مقدمة :

لقد أُنْهَمَ التحليل النفسي بأنه علم نفس بورجوازي ، وقد قوبل التحليل النفسي وخصوصا الأرتودكسي منه بحملة كبرى جعلت إريك فروم مثلا يتحدث عن أزمة في التحليل النفسي لكن هذه الحملة - وغيرها - لم تكن قادرة على البرهنة على بطلان ما أتى به فرويد حيث أخذت المفاهيم الفرويدية من نسقها العيادي وعممتها .

أما الجانب الآخر من العداء / النقد فكان يتمحور حول الجانب الجنسي الذي جعله فرويد حجر الزاوية لنظريته فإنشق عنه كل من H.Marcuse و C.G.Jung ... ومع ذلك وجب القول بأن كتابات وبحوث علماء النفس المحدثين تدور في معظمها حول المفاهيم الفرويدية التي إستأثرت بنصيب كبير من التحليل ويُعتبر هذا البحث محاولة لوضع مفاهيم التحليل النفسي في إطارها .

نظرية الجهاز النفسي :

- الأنا : (Ich) هو أحد مكونات الجهاز النفسي ، وهو من الناحية الوضعية Topique في علاقة مع الهو والأنا الأعلى. والأنا يلعب دور الوسيط بين متطلباتها ، وهو يُترجم عن الشخص Personne . أما إستقلاليته فهي نسبية .
من الناحية الدينامية يمثل الأنا الجانب الدفاعي من شخصية الفرد ففي الصراعات العصبية مثلا يستعمل الأنا مجموعة من الآليات الدفاعية أمام أي خطر يهدد وحدة الشخصية .

إن مفهوم الأنا قد تطور بتطور تجارب فرويد ، ففي كتاباته التي سبقت سنة 1920 يتوافق الأنا مع الشخصية بأكملها . أمّا بعد ذلك فقد أصبح الأنا جزءاً أو مكوناً من مكونات الجهاز النفسي . وقد ذهب P.Janet في دراساته المتعلقة بالهستيريا سنة 1880 إلى اعتبار وجود أنا كمكون للشخصية السوية وأنا كمكون للشخصية المرضية .

ويتميز الأنا بالمقارنة مع الموضوعية الأولى (شعور ، لا شعور ، ما قبل شعور) بأنه في جزء منه لا شعوري ويؤكد فرويد على ذلك خلال تجاربه العيادية . فهو يقول في بحثه الذي يحمل عنوان « le moi et le Ca 1923 »

Nous avons trouve dans le Moi lui _meme quelque chose qui aussi , est inconsciente , qui se comporte exactement comme le refoule c.a.d qui produit des effets puissants sans devenir lui _meme conscient et qui necessite , pour être rendu conscient , un travail particulier . >>

فالأنا إذا هو جزء من الهو تكون بفعل تأثير الواقع المحيط والظهور التدريجي للأنا تأتي في بادئ الأمر نتيجة للإدراك la perception أي أنه بالإدراك الواعي أصبحت مجالات عميقة (جزء من الهو) مدركة بمبدأ الواقع الذي يمثله الأنا .
– الهو : هو الجانب اللاواعي من الجهاز النفسي ويحوي الفرائز الجنسية والعوانية ، وهو حسب عبارة نيتشه « الطبيعي بالضرورة للذات »

أدخل مفهوم الهو (Das Es) من طرف فرويد بين 1920 - 1923 وهو يعني اللاشعور مقارنة مع الموضوعية الأولى بدون أن ننسى أن هناك اختلافاً بين اللاشعور والهو ، فاللاشعور يعني أيضاً المكبوت le refoule هذا بالرجوع إلى الموضوعية الأولى . أمّا الموضوعية الثانية فتؤكد على أن الهو يحوي نفس المكبوتات لكن ليس كلها . من هذا المنطلق يصبح الهو حاوياً للبيدو أي المحرك الأساسي للفرائز . أمّا الحدود الفاصلة بين الأنا والهو فهي غير واضحة كما الحال بالنسبة للشعور واللاشعور ، يقول فرويد :

le moi n'est pas separé du Ca de façon tranchée dans sa partie inférieure , il se également avec le Ca dont il n'est qu'une partie.

. Le refoulement ne se separé du moi de façon tranchée que par les résistances de refoulement , et peut communiquer avec lui par le ca >>

— والأنا الأعلى : كذلك ليس مكوناً مستقلاً فهو في جانب هامّ منه لا شعوري .
والأنا الأعلى هو الضمير وكلّ القوانين الإجتماعية . وقد ذهب فرويد في كتاباته الأولى إلى إعتباره وريث عقدة أوديب ويتكوّن بإستبطان المحرّمات .

فالطفل في نهاية الخروج من المرحلة الأوديبيّة يعزف على إشباع رغباته نظراً للقيود والعادات والتقاليد الإجتماعية فيقوم بعملية تقمّص الوالد من نفس الجنس . ويذهب محلّون آخرون أمثال R.Spits و M.Klein إلى اعتبار ظهور الأنا الأعلى في مرحلة مبكّرة وسابقة عن الأوديب . فميلانسي كلان ترى بأنّ الأنا الأعلى يتكوّن في الفترة التي أطلقت عليها اسم الوضع المعّي (من 6 أشهر إلى سنة) وذلك عن طريق إستدماج Introjection المواضيع الحسنة والمواضيع السيئة . أمّا Spits و A. Freud فإنّهما يؤكدان أنّ على أهميّة آلية التماثل مع الطرف

العواني L.identification a l'agresseur

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

النموّ النفسي — الجنسي للطفل :

1 — نظرية M.Klein

. إنطلاقاً من كتابها (La psychanalyse des enfants) تقدم لنا م . كلان صورة لنموّ العالم الداخلي للطفل منذ سنّ الرضاعة ، وقد شددت في نظريتها على أنّ الخيالي l'imaginaire يحتل رقعة واسعة من حياة الطفل والبالغ .

وقد أدخلت مفاهيم « الموضوع الحسن » و « الموضوع الرديئ » والتفّرّع le Clivage .

— الموضوع الحسن والموضوع الرديئ :

يعتبر ثدي الأم موضوعاً جزئياً (الذي ليس هو الأم ككلّ) وتبعا لشرح كلان يقع دمجه بالذات إذ يشعر به الطفل على أنّه جزء منه ، فيظهر الثدي في نفسيّة

الطفل وهو ما تعبّر عنه Klein بالموضوع المهوم Hallucine ويُدرك هذا الموضوع على أنّه حسن عندما يهبّ الحليب للرضيع ، وعلى أنّه رديء عندما يُحرم منه ، ومن هنا يمكننا القول أنّه يتكوّن داخل حقل خيال الطفل ، إستيهام الموضوع الحسن وإستيهام الموضوع الرديء .

وبالنسبة إلى " كلان " تترابط الاستيهامات المتعلقة بالموضوع الحسن مع الاندفاعات اللّويديّة ، بحيث يتفرّع الشدي ، المدمج بالذات خيالياً ، إلى موضوع حسن مثالي وموضوع رديء معذب ... تستجيب إزدواجيّة لإزدواجيّة الحياة والموت - الوضع التعذيبي والتفرّع : يحاول الطفل خلال نموه الإبقاء على إندماج الشدي المثالي بذاته وإقصاء الشدي المعذب بقذفه إلى العالم الخارجي الذي يكتشف تدريجياً والنتيجة أنّ الشدي الخارجي (الذي لم يعد خيالياً) يشعر به الطفل خيالياً على أنّه نو عنوان وتعذيب . فيحيا الطفل مثلاً إندفاع التدمير في رغبة عضّ الشدي ونهشه مع شعوره في الوقت ذاته بأنّه مهدّد بالنّهش . [ويرى D.W. Winnicott في كتابه : De la pèdiatrie à la Psychanalyse أنّه على الأم أن تدخل في مرحلة مرضيّة طبيعيّة Phase de pathologie normal وهكذا يغدو الواقع الخارجي ، على أساس الاستيهامات الأولى حول الموضوع الحسن والموضوع الرديء ، الذين باتا مقيمين داخل الطّفل ، يغدو هذا الواقع متفرّعاً هو نفسه إلى موضوع حسن وموضوع رديء .

وقد دعت M. Klein وضعا تعذيبياً أو ذهانا فصاميهما تلك العلاقة المتميّزة بالقلق من عنوان أو اضطهاد .

- الوضع المعني : في هذه المرحلة يتعلّق الطفل من النّظر إلى الموضوع لا كموضوع جزئي (الشدي) بل كموضوع كامل (الأم) . فالأم هي مصدر كلّ ما هو حسن ورديء . وهنا يعيش الطفل « الوضع المعني » Position Depressive فالطفل يشعر بأنّ الموضوع نفسه (الأم) هو مصدر للعطاء والحرمان وهو في نفس الوقت موضوع لنزاعات الطّفل المحبّة والتدميريّة ، فيعيش الطفل الخوف من

أن تحطم إستيهاماته العدوانية الموضوع الذي يحبه وهذا الخوف أو الوضع الصعب والمعني يتلاشى تدريجياً مع وجود الأم وإعطائها العناية والحب للطفل

2 - نظرية فرويد :

1 - المرحلة الفعية : يمثل الفم الأداة الرئيسية للتعامل مع المحيط ، فبالفم تشبع الحاجات البيولوجية . وفي هذه المرحلة لا يكون النشاط الجنسي منفصلاً عن تناول الطعام إذ لا يكون تمايز العمليتين ظاهراً . لكن النشاطين لهما نفس الموضوع (الثدي) والهدف الجنسي يتمثل بإستدماج الموضوع عبر عملية المص .

2 - المرحلة الشرجية : بعد حصول عملية الفطام (Sevrage) وهي من أهم عمليات الإحباط التي يتعرض لها الطفل في هذه السن ومع النمو العضلي ودخول الطفل مرحلة تعلم أصول النظافة يصبح هذا الأخير قادراً على التحكم في عملية إخراج الفضلات . ففي حين تلج الأم في طلبها يُعرض الطفل على تلبية رغبة أمه ويتحمل الآلام التي تصاحب هذه العملية ويسمى فرويد هذه المرحلة بالسادية - المازوشية حيث يقرن الشعور بالأذى والآلم . كما يحسن الطفل باستقلاليته عن الآخر أي الأم .

3 - المرحلة القضيبية : يكتشف الطفل في هذه المرحلة الفروق الجنسية بين الجنسين ، ويتمحور لعب الطفل على العضو التناسلي .

4 - المرحلة الأوديبيّة : تركز في هذه المرحلة الرغبات الجنسية للطفل على أمه مقابل نموّ عواطف حسد وكراهية غامضة تجاه والده . فحب الأم والعداء للأب هما المركبان اللتان تتألف منهما عقدة أوديب .

أما موقف الابنة الصغيرة فهو لا يختلف عن ذلك رغم وجوب قلب الأدوار .

- مفهوم الشخصية السوية :

يبقى مفهوم الشخصية غامضاً فقد أستعمل في سياقات متعددة حسب علماء النفس ، ولكن يتفق أغلبهم على أنها :

« مجموعة البنيات Structures الوظيفية للجهاز النفسي في مظاهره الفكرية والعاطفية الوجدانية والحسية الحركية »

يقودنا هذا التعريف إلى القول بأن الشخصية هي في نفس الوقت تعبير عن
الأنَا من الدرجة الثانية Le Je بحيث تؤثر فيما حولها كما هي تعبير عن الأنَا من
الدرجة الأولى le moi مع شعور الشخص بوحده وهويته Son Identite .
والشخصية ليست جامدة بل متحركة وتمرّ بمراحل عديدة حتى تصل درجة من
التوازن ، والتوازن يكون ظاهرياً فقط لأنّ التغيّر مسارٌ دائمٌ .

- مفهوم الشخصية اللّسوية :

وجب أن نفرّق هنا بين :

* شخصية غير طبيعية Anormale وشخصية مرضية Pathologique فالأولى
هي الشخصية التي لا تتوافق ولا توجد في متوسط المجموعة سواء إيجابياً أو سلباً .
أمّا الثانية فهي الشخصية التي مرّت بمراحل نمو مرضية أثّرت سلباً في توافق
الفرد مع نفسه ومع محيطه .

- مفهوم البنية في المرض النفسي :

نفرّق في علم النفس بين مجموعتين من الأمراض النفسية : مجموعة الأمراض
العصابية Les Nevroses ومجموعة الأمراض الذهانية Les Pshchoses
ويصعب أحياناً الفصل بينهما ، كما أنّه توجد مجموعة الحالات الفاصلة - Etats li-
mites التي تتميز حسب J.Bergeret بطابعها الاكتئابي Depessif وتتمظهر في
الانحرافات Les perversions .

وقد عزّت M.Klein أسباب الأمراض النفسية إلى النكوص: سواء إلى مرحلة
الذهان القسامي أو مرحلة الوضع المعوي . أمّا فرويد فإنّه يرجعها إلى مراحل
الطفولة الأولى حيث شبّه الجهاز النفسي بقطعة من الكريستال التي من الممكن أن
تبقى كما هي أو تتكسّر وذلك بفعل صراع Conflit أو صدمة ما Tramtisme
كموت أحد الأقرباء أو الخيانة الزوجية ... والتفكك في قطعة الكريستال لن يكون
اعتباطياً بل هو مرتبط إرتباطاً وثيقاً بطريقة نمو وتنشئة الطفل . أي أنّ المرض
النفسي سواء كان عصاباً أو ذهاناً * محدّد سلفاً *

لكن هل يعني هذا أن أي إنسانا سيكون يوماً ما مريضاً ؟ بالطبع لا ... فهنا تدخل قدرة الأنا على التوفيق بين مطالب الأنا الأعلى ورغبات الهو ، فإذا كان الأنا مكتملاً وقوياً بحيث يضمن القيام التوفيقية فلن يكون هناك أي مرض أو إنحراف ... أما إذا كان الأنا ضعيفاً متواكلاً لأن الطفل عاش حرماًناً مطرداً أو أشبعت كل رغباته في الصغر فإن نضج أناه لن يكتمل ويصعب عليه بالتالي القيام بالعملية التوفيقية ويسقط في النهاية .

– العصاب والذهان :

يقدم لنا J.Bergeret في كتاب PersonneliteNormal et Pathologique دوائماً بالاعتماد على النظرية الفرويدية من خلال كتاباته ومراسلاته مع الدكتور Fliess خصائص كل من العصاب والذهان .

ففي العصاب أو بالأحرى مجموعة الأمراض العصابية والتي تشمل :

– عصاب الحصر la nevrose d,angoisse

– الهستيريا l,hysterie

– الرهاب أو الخوف La nevrose phobique

– والعصاب الاستبدادي أو الوسواس la nevrose obsessionnelle

في هذه الأمراض نستطيع أن نتحدث على أنا مكتمل ، في حين أن الأنا في مجموعة الأمراض الذهانية والتي تشمل :

– البارانويا Paranoia ، والشيزوفرينيا la Schizophrenie ، والميلانخوليا وذهان

الهوس النوري la pshchose maniaco_ depressive .

في هذه الزمرة من الأمراض يصعب الحديث عن أنا مستقل حيث أن أنا المريض تكون في حالة إنصهار مع الموضوع (الأم) .

أما الصراع فإنه كذلك يختلف من العصاب إلى العصاب الترجسي وهو الإسم الذي أطلقه فرويد على الذهان فيكون في الحالة الأولى بين الأنا والاندفاعات Les Pulsions وعمليتي التكويس والتثبيت تكونان في المرحلة الأديبية ، عدى العصاب

الاستبدادي حيث يكون النكوص في المرحلة السادية لكن يُعَبَّر على التثبيت الأوديبي .

أما في الزهان فالصراع يكون بين الهو والأنا الأعلى بحكم عدم نضج الأنا والتثبيت يكون في المراحل السابقة للأوديب .

بخصوص الآليات الدفاعية ، يبقى الكبت le refoulement الآلية الدفاعية الأساسية في كامل الأمراض العصبية ، إضافة إلى الآليات الأخرى مثل التحويل le Displacement والاسقاط la projection ... وهذه الآليات لا تتجاهل الواقع بحكم أن الاندفاعات الأوديبيية هي المعنية بالنكوص . ويدور القلق في العصاب حول قلق الإخفاء (الخفاء) في حين أن القلق في الزهان يتمحور حول قلق الموت والاندثار .

أما الآليات الدفاعية الشائعة في الأمراض الذهانية فهي التجاهل le Deni والاستدماج l'introjection والتفزع le clivage .

بقي أن نشير إلى أن الأعراض العصبية تشمل :
1 - الوهن النفسي la Psychasthenie 2 - اضطرابات في الوظائف الجنسية منها الاستمناء la masturbation والبرود الجنسي la frigidity والقذف المبكر أو عدمه Lejaculation precoce / anejaculation 3 - الاضطرابات السلوكية وأهمها العدوان حيث أن العصبي إنسان صعب لكنه قادر مع ذلك على التأقلم مع محيطه . 4 - الاضطرابات الجسمية l'hypocondrie وهي الاهتمام المتزايد بالبدن 5 - اضطرابات في الأكل وتذهب هذه الاضطرابات من التقيض إلى التقيض أي من الإمتناع عن الأكل l'anorexie إلى النهم الشديد Boulimie وهناك اضطرابات أخرى كالتبول اللا إرادي l'Enuresie وآلام في الرأس Cephales وأحاسيس بالدوار Vertiges .

في حين أن الأعراض الذهانية تكون أشد بحيث تُضاف الهلوس والهذيان

والانفصام في الشخصية والإنغلاق حول الذات تضاف إلى ذلك عدم القدرة على التركيز والفهم مما يُعيق المريض على التأقلم ولو جزئياً مع المحيط .
أما الأعراض الأخرى فهي جنون العظمة la Megalomanie وذهاب الاضطهاد la persecution والجنسية المثلية l'homosexualite كما الحال في البارانويا .

— العلاج النفسي :

هناك مقاربات عديدة للعلاج النفسي منها العلاج بالأدوية والعلاج بالصدمات الكهربائية والعلاج بالموسيقى والعلاج بالتحليل النفسي لكن التجارب أثبتت بأن يكون العلاج مرتبطاً بمقاربتين أو أكثر . وبما أننا نتحدث عن التحليل النفسي فإن هذا الأخير يعتمد على مساعدة المريض ليقوم بعملية تنقيس وتطهير Methode cathartique في جو من الثقة تجعل المريض يعبر عن كل ما بداخله بكل حرية ويعمل الإخصائي النفسي الإكلينيكي إلى دراسة الحالة والتي تعتمد أساساً على الملاحظة الإكلينيكية للعميل خلال المقابلة l'entretien والفحص السايكولوجي بالإختبارات الاسقاطية le Rorschach و (T.A.T اختبار تفهم الموضوع) ...

والأهم من هذا كله وكما ذكرت سابقاً معرفة قصة المريض كما يكتبها أو يرويها المريض نفسه حتى يتيسر لنا رؤية الناس كما يرون أنفسهم . لكن قد تكبت بعض الذكريات لما ترتبط به من شحنات إنفعالية قوية وقد تُحرف بعض المعلومات عن عمد . لذلك وجب مقارنة ما يقوله المريض بما يقوله الآخرون خصوصاً أفراد عائلته والمقربين وما تنتهي له نتائج الاختبارات سواء السايكولوجية أو الفحوص الطبية والسجلات المدرسية ... ثم نقوم بالصياغة الشخصية le Diagnostic ويقع هنا تلخيص الحالة بطريقة دينامية كما نحاول تبين الصراع الأساسي مثل الشعور بالذنب مقابل تبرير الذات وبالإستقلال مقابل الاعتماد ...

وفي النهاية نهيء العميل لتقبل إنهاء العلاقة مع الإخصائي والعودة إليه عند الحاجة .

خاتمة : في نهاية هذا البحث نستطيع أن نقول بأن السلوك الإنساني

معقد لدرجة أنه لا يمكننا ربطه بعنصر واحد فالجنسي له دوره والثقافي الاجتماعي له دوره أيضاً ورسم الخطوط الفاصلة بين هذين الدورين أمر يكاد يكون مستحيلاً .. لكننا نتفق مع فرويد في أن أغلب سلوكياتنا تحكمها رغبات لا واعية وما زلات اللسان Lapsus والنسيان والأحلام إلا تعبير على البعد اللاواعي لسلوكياتنا هذه . وهو في هذا المعنى يقول : « الإنسان غائب عن وعيه » إضافة إلى أهمية المراحل الأولى من النمو فهي التي تطبع شخصية الفرد بميزات ترافقه طوال حياته .

وقد أثبت التحليل النفسي العيادي أن داخل كل إنسان راشد طفل مهيء للتحرك والبروز ويتمظهر ذلك في مظاهر شتى من الحياة كالغضب والتدخين والادمان على الكحول . وتعتبر هذه السلوكيات من وجهة النظر التحليلية نكوصاً ، إلى المرحلة الغمية .

(لمزيد التعمق راجع مقال M.Klein بعنوان : L'Age adulte et ses racines dans l'enfance)

في كتاب : A.Levy T2 : la Psychologie sociale

ويبقى الكبت والإعلاء Sublimation اللتان الدفاعيتان اللتين بهما يرتقي السلوك من الحيوانية إلى الإنسانية . إضافة إلى أن كل البحوث النفسية - الاجتماعية تؤكد على أن السلوك الإنساني محكوم أيضاً بالقوانين الاجتماعية التي ينبغي على الإنسان أن يتبناها ويحترمها .. وفي المقابل كي تكتمل إنسانية الإنسان بحيث هو كائن اجتماعي وجب على المجتمع الذي يعيش داخله بأن يلبي له جملة من الرغبات أذناها الرغبات البيولوجية .

ينبغي أيضاً أن نشير إلى أن هناك سلوكيات في ظاهرها مرضية لكنها بالمفهوم النفسي عادية وطبيعية لنمو شخصية الفرد . من أهم هذه السلوكيات سلوك المراهق في الفترة الأخيرة من مرحلة المراهقة والتي يسميها علماء النفس بأزمة التميز لدى الشباب la Crise d'originalite Juvenile حيث يكون المراهق ذو شخصية عاتمة ولا متوازنة وثائرة وهي الثورة على السائد والنقد الموجه للكبراء

من طرف أبنائهم ما هو إلا دليل على البحث على الذات وتأسيسا للهوية ولتثبيت سلوكات المراهق ومن ورائها شخصيته تقوم البرامج المدرسية بنور هام بحيث يعي المراهق في النهاية بأنه ينتمي إلى وطن له تاريخ وتراث وحضارة وما هو إلا إمتداد لذلك فيتقبل بذلك شيئا فشيئا ذاته وتتنفي بذلك أيضا مقولة R.Mucchielli << l'adolescent est un Cristophe Colomb mais sans Amerique >>

أشير في النهاية إلى أن تحليل سلوك ما وفهمه ينبغي أن يكون في إطار نفسي إجتماعي حتى تتلافى عمليات الاسقاط والتعميم كما وقع لبعض الباحثين الغرب عندما فسروا رقصات الأفارقة بكونها هستيريا جماعية في حين أنها يمكن أن تكون طريقة علاجية جماعية . كذلك حال المراهقة التي من الثياب ما قصر فنصفها بأوصاف شتى في حين أنها في حالات عديدة تعبر بلباسها على أنوثتها وتقمصها لدور المرأة وإثبات ذاتها وذلك من وجهة نظرها ومن وجهة التمشي النفسي لديها .

إذا ففهم السلوك يجب أن يكون داخل إطار مرجعي رمزي فالسلوكات في أغلبها مكتسبة Acquisies وقد قال لومنيان مالتسوز: << ليس للإنسان طبيعة

بل له تاريخ (Les enfants sauvages)

L,homme n,a point de nature , ce qu'il a on plutot ce qu'il ait est une histoire .

والنفس السبب أيضا يجب أن يتكامل التحليل النفسي وعلم النفس العام وعلم النفس الإجتماعي وعلم الإجتماع والانتروبولوجيا في فهم وتحليل السلوك .

علي بن محمد الزنجي

(2)

بقلم : محمد نبيل فرادي

لم يكن ظهور حركة الزنج ظهوراً مفاجئاً بل سبقته فترة مخاض عسيرة تكبد متابعها قائد الزنج وبعض أتباعه المخلصين ويمكن أن نقسم بناء على ذلك ظهور الحركة إلى مرحلتين :

- 1 - الأولى تحضيرية تمهيدية ، تميّزت بالمعاناة وتكرار المحاولات وتناوبها .
- 2 - والمرحلة الثانية هي مرحلة الظهور النهائي والتي تمثل المنطلق الحقيقي الذي سيخرج الحركة من طور الاعداد والكمون إلى طور الظهور وبالتالي إلى تحقيق الأهداف المرسومة والتي خطط لها صاحب الزنج بمفرده منذ البداية . وقد مكنت هذه الفترة من بقاء حركة الزنج في حالة ثورة متواصلة طيلة ما يقارب الخمسة عشرة سنة هددت خلالها سلطة الخلافة العباسية تهديداً مباشراً كاد يذهب بها ، وقد تحدثت عديد المصادر عن كيفية ظهور حركة الزنج فكانت جلها متقاربة فيما ذهبت إليه .

* المرحلة التحضيرية :

جاء في دائرة المعارف الاسلامية فيما يتعلق بهذه المرحلة ما يلي :

Après une première tentative pour gagner un appui au bahrayn ou il aurait eu des relations de famille , il chercha à exploiter la situation troublée de Basra par s,y eta-

blir lui meme , il echoud cependant et evita seulement d,etre mis en prison en s,enfuyant a baghdad peu apres , des nouveaux troubles a Basra favoriserent son retour , il chercha Alors un appui aupres des esclaves noirs qui travaillaient en epuipes dans les marecages salins a l,est de Basra Apres une periode de preparation ...>>(24)

هذه المرحلة تكررت فيها محاولات قائد الزنج للخروج ، ولكنه لم يتمكن فيها من نيل مطالبه لذلك فهي لا تعدو أن تكون مرحلة بدايات تكمن قيمتها أساسا في كونها مرحلة سابقة تلتها مرحلة الخروج الفعلي

— الخروج الفعلي

في هذه المرحلة دخلت حركة الزنج في مواجهة مباشرة مع جيوش الدولة العباسية المتتالية إلى أن قتل علي بن محمد بعد ما يقارب الخمسة عشر سنة . وقد تحدثت عديد المصادر والمراجع عن هذه المرحلة ولكنها اختلفت بعض الشيء في تحديد تاريخ بداياتها وتراوح هذا الاختلاف بين فارق زمني امتد على يوم وليلة وفارق زمني آخر وصل إلى حد خمسة أيام كاملة ... >> وكان ظهوره ببئر نخل بين الفتح وكرخ البصرة في ليلة الخميس لثلاث بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين ...>> (25)

وذكر أن خروج صاحب الزنج يوم الاربعاء ، لأربع بقين من رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين .. >> (26) ونلاحظ في التاريخين المذكورين أن الفارق الزمني لم يتجاوز اليوم والليلة . أما ما قيل من أن ظهور علي بن محمد كان في >> 10 أيلول سنة 869 م >> (27) فيختلف عما جاء في دائرة المعارف الإسلامية :

Après une periode de preparation , il se declard ouvertement le 26 Ramadan 255/5 septembre 869 >(28)

وقد وصل الاختلاف في التاريخين المذكورين إلى خمسة أيام كاملة وهو ليس بالفارق الكبير. ولكنه يكشف بوجه أو بآخر عن وجود مثل هذه الفوارقات في التأريخ لمسألة الخروج .

– أسباب خروجه

لخص أحد الدارسين أسباب خروج علي بن محمد ومبررات الثورة التي قام بها الزنوج في ستة أسباب رئيسية هي التالية :

“ النفوذ الأجنبي ، ظهور النظم الاقطاعية وما صاحبها من مساوئ اقتصادية ومظالم اجتماعية ، انتشار نظام الرق ، ظهور روح التفرقة العنصرية ، انتشار مبادئ الخوارج الديمقراطية الجمهورية ، ظهور ثورة القرامطة في بلاد العراق ” (29)
ولكن الدارس للأسباب الحقيقية لهذه الثورة يجد أنها لا تقتصر على ما ذكر فحسب وانما تتجاوزها إلى أسباب أخرى كثيرة منها ما هو ذاتي يتعلق بالطموحات الشخصية لقائد الزنج .

ولئن تميزت المرحلة التي مهدت لقيام ثورة الزنج ورافقتها ، بنفوذ العنصر التركي في السلطة العباسية فقد شكلت اجراءات المعتصم في جلب الأتراك تحولاً في السياسة العباسية وفي تركيبة جيشها الذي أصبح يغلب عليه طابع الارتزاق والاستتجار ، فعرفت تلك المرحلة بكثرة الانقلابات والجيئات السياسية والعسكرية فاستحال الخلفاء إلى بيادق يحركهم القادة والوزراء كما يشاؤون وأمست الدولة تعيش وضعاً متدهوراً وكان لسان الشعب يردد مع الشاعر (العلوي) دعبل :

خليفة مات لم يحزن له أحد * وأخر قام لم يفرح به أحد
فمرّ ذاك ومرّ الشؤم يتبعه * وقام ذاك فقام النحس والتكد (30)

وفي خضم هذه الظروف المتميزة بكثرة الاضطرابات وعدم الاستقرار الشامل رجع علي بن محمد الزنجي سنة خمس وخمسين [ومائتين] ويحيى بن محمد وسليمان بن جامع ومسروق ورفيق فنزل بقصر القرش ودعا الفلماني من الزنوج ووعدهم بالعق فاجتمع له منهم خلق ... » (31)

استطاع أن يؤلبهم بعد أن درس حالتهم ويؤسهم وأجورهم ونفسيتهم إذ كانوا لا يتقاضون من الأجر شيئاً بل كانوا يقاتنون بقليل من الدقيق والتمر والسويق مقابل اشتغالهم في كسح السباخ وردم المستنقعات بشروط معيشية لا يحتملها

بشر فقد كانوا يحشرون في مخيمات يبلغ عدد أفراد كل منها بين 500 و 5000 شخص وكانوا يقيمون في أكواخ فقيرة صنعت من القصب وأوراق النخيل فكانوا عُرضة للأمراض الفتاكة ، فهم يعملون في المستنقعات بين الأملاح ، كما كانوا يتعرضون إلى عوامل نفسية شديدة الوطأة ، فلم يكونوا ذوي زوجات وأولاد بل كانوا على هيئة الشطار عزابا ، وهذا دليل آخر على الوضعية الاجتماعية للعبيد بحيث لا يتمتعون بأبسط الحقوق ... ثم إن هذه الفئات من العبيد الزنوج جلبوا من شرقي أفريقيا في شكل جماعات لن تجد في انتظارها ظروفًا معيشية واحدة فبعضها استخدم في القصور وبعضها في الحراسة والزراعة ، ولا شك أن طبيعة تلك الأعمال أثرت في الخصائص النفسية والاجتماعية للعبيد لأن واقع الخدمة في القصور والبيوتات وما يتبعه من الاحتكاك بأحوال الترف ويسر المعيشة يؤدي إلى زوال الخشونة ، وضعف العصبية (بالتعبير الخلدوني) ، بينما يتطلب العمل في فلاحه الأرض وإنشاء السدود وكسح السباغ بذل المجهود العضلي فيترتب عن ذلك شعور بالغبن الاجتماعي فضلا عن أن الاحتكاك بالآخرين ممن يقومون بنفس العمل ، يؤدي إلى اتخاذ الشعور الاجتماعي فتقوى العصبية ويتبلور الوعي بوحدة المصير ، مصير العمال الزراعيين وفي ذلك الإطار تبرز النقمة المشتركة على المستغلين أولياء الأمر ، فتكون وحدة الأعمال طريقا لوحدة المشاعر والأحاسيس ، ويؤدي ذلك إلى الإحساس بالقدرة على المجابهة ... (32) وقد أجمعت عديد المصادر والمراجع على أن قائد الزنج أراد أن يستفيد من اضطراب الحوادث في العاصمة ومن ثورة رجال المناجم التعساء المتذمرين فادعى في سبتمبر 869م أنه علويّ بعث لإنقاذهم بالرؤى وعلم الغيب » (33) فصلّى بهم وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال وأن الله قد استنقذهم به من ذلك ، وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ، ويملكهم العبيد والأموال والمنازل ويبلغ بهم أعلى الأمور ... » (34) وما زال يدعو غلمان أهل البصرة ويقبلون إليه للخلاص من الرق والتعب ، فاجتمع عندهم منهم خلق كثير ، فخطبهم ووعدهم أن يقودهم ويملكهم الأموال وحلف لهم

بالإيمان أن لا يغير بهم ، ولا يخذلهم ، ولا يدع شيئاً من الاحسان إلا أتى به إليهم ، فأتاه مواليتهم ، وبذلوا له على كل عبد خمسة دنانير ليسلم له عبده فبطح أصحابهم وأمر كل من عنده من العبيد فضربوا مواليتهم أو وكيلهم ، كل سيد خمسمائة سوط ثم أطلقهم فعضوا نحو البصرة» (35)

وحصلت مواجهة عنيفة ومتكررة بين الزوج وجنود الدولة العباسية أثارت القلق والرعب في حاضرة الخلافة وكان « مسرح هذه الثورات الجامحة العنيفة التي دامت أكثر من أربع عشرة سنة هذه المستنقعات الممتدة بين البصرة وواسط وانضمت إليهم جماعات من العبيد الهاربين من القرى والمدن المجاورة تخلصاً من حالتهم ... » (36) ولئن مثلت حالة الفقر والخصاصة وظروف العمل الشاقة في كسح السباغ واستخراج « ملح البارود » (37) أهم دوافع الثورة وأسبابها فإنها لم تكن الأسباب الحقيقية الوحيدة التي تقف وراء هذا التمرد على السلطة العباسية ذلك أن نقمة الزوج على أوضاعهم المتردية جعلهم يحققون على الخلفاء الذين جمعوا كل مظاهر الترف والمجون وركنوا إلى الفساد وممارسة المهنوعات وتفتنوا في بناء القصور وجمع المنافيين وانتهكوا الحرمات والخيرات يقول قائد الزنج (علي بن محمد) واصفا حياة الترف والبذخ التي يعيشها خلفاء بني العباس في عهده :

لهف نفسي على قصور بغداد وما قد حوته من كل عاص
وخمر تشرب هناك جهرا ورجال على المعاصي حراس
لست بأبن الفواطم الزهر إن لم أقحم الخيل بين تلك العراص (38)
ومعاً يعمق شرح النعمة ويوسع هوة القطيعة بين الزوج والسلطة العباسية هو شعورهم " كفتة في طبقة العامة بالمضض والضيم من استيلاء الأتراك على الفتي واستفحال الفقر - وشدة الاستغلال وكثرة اعتداءات جند الدولة العباسية عوضاً عن حمايتهم كما يشمل فقدان الثقة في آمال التحرر والكسب التي كان يعدم بها ملائكتهم " ومن جهة أخرى وككل القادة الذين انتحلوا النسب العلوي في حركاتهم

الثورية ، فعل علي بن محمد إذ التزم بالدفاع عن حركة التشيع الثورية التي أصبحت بفعل تجربتها السياسية ومخزونها الاجتماعي المعارض . رمزا لكل المضطهدين فليس من الشيعة من يرى استبداد الحكام ولا يشجبه وارتكاب المعاصي ولا يعقته وجمع الرجال على البغي فلا يفركه ومن الأسباب التي ساعدت على خروج الزنج وتمردهم على السلطة ، نظام الاقطاع وملكية الأراضي والعقارات ، ذلك أن نظام الاحياء الذي يركز على أن كل من يأخذ أرضا مواتا فيحييها ويخدمها تصبح ملكاته ، ساهم إلى حد بعيد في عناء الزنوج وشقائهم فالاقطاعيون كان همهم الوحيد هو البحث عن اليد العاملة الرخيصة فجلبوا الزنوج من شرقي إفريقيا وشغلهم في استصلاح المستنقعات وتجفيفها، ولما كان الإقطاع يسيّره العسكريون الأتراك بمساعدة جياة الخراج وممثلي السلطة في الاقطاعات فقد تحول إلى قطاع عسكري قاس ، تنامي مع ازدياد دور التجارة في تلك الفترة » (39) وعموما تضافرت كل الدواعي السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتفاعلت حتى أفرزت تمرّد هذه الفئة المضطهدة وخروجها على السلطة المركزية ، وإن تعددت الأسباب وتنوّعت فإن غاية الزنوج كانت جميعها تقريبا تصب في اتجاه واحد هو تغيير الوضع السائد وذلك بتحسين أحوالهم والتخلص من حياة الرق والعبودية .

ـ أعماله

يمكن أن نصنّف أعماله إلى : أدبية وعسكرية

غير أن أهم أعماله تمثلت في بسط نفوذه العسكري على عديد المناطق فانتشرت جيوشه .. في العراق وخوزستان والبحرين ... فاستوى على مدينة الأبله على مقربة من الخليج الفارسي وشط العرب حيث يتفرع دجلة والفرات * (40) * لخمس بقين رجب من سنة ست وخمسين ومائتين حيث قتلوا بها خلقا كثيرا وأحرقوها كما استسلم أهل عبادان لصاحب الزنج في نفس هذه السنة فسلموا إليه حصنهم ودخل أصحابه الأهواز وأسروا ابراهيم بن المدبر وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ست وخمسين ومائتين - أما البصرة فقد حاول

الزنج دخولها في مرة أولى وذلك في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من نوي القعدة سنة خمس وخمسين ومائتين ولكنهم أخرجوا وأبعدوا عنها رغم ظهورهم على أهلها وأعادوا مهاجمتها في محاولة ثانية وكان ذلك في شوال من سنة سبع ومائتين إذ أزمع الخبيث على جمع أصحابه للهجوم على البصرة ... وظفر بها ...» (41).

ويشير ابن الأثير إلى أن الزنج دخلوا راهمرز سنة تسع وخمسين ومائتين حيث دخل علي بن أبان والزنج راهمرز (42) هذه إذا أهم أعمال علي ابن محمد ، ولم نقف على اختلاف في ذكرها إذ تعرضت لها أغلب المصادر والمراجع دون أن يقع زيادة على ما ذكره الطبري الذي احتوى كتابه على أكثر التفاصيل الممكنة بخصوص هذا الموضوع ، وقد تميّزت معلوماته بكثير من الدقة والضبط جعلتنا نعتمدها أساسا لدراسة هذه المسألة ، والنوع الثاني من أعمال صاحب الزنج أدبي وهو غير ذي أهمية بالمقارنة مع أعماله العسكرية وقد أشار لذلك خير الدين الزركلي في « الاعلام .. » ، إذ تروى له أشعار كثيرة في البسالة والفتك يقولها وينحلها لغيره ، وفي « أخبار التراث » العدد ست وستين أشعاره جمعها أحمد جاسم النجدي ونشرها في كلية الآداب بجامعة بغداد ص ص 167 - 174 .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

نتائج أعماله :

تختلف وجهات النظر في تقييم نتائج ثورة الزنج وذلك باختلاف زوايا النظر الاتي تناول من خلالها الدارسون تقييم تلك النتائج ، وسوف نستعرض هذه النتائج ونقدمها على النحو التالي :

- النتائج العسكرية :

بعد فترة طويلة من النجاحات العسكرية استولى خلالها الزنج على مدينة الأبلّة ، الأهواز ، البصرة . وواسط» (44) وهددوا العاصمة " سر من رأى " (45) أخفقت عسكرياً وخسرت كل ما توصلت إلى السيطرة عليه من مدن وقرى وبذلك انتهت واحدة من أشد الثورات إراقة للدماء وتدميرا ...» (46).

يقول أحمد أمين " .. وقتل صاحب الزنج بعد أن خرب الزنج كثيراً من البلاد

وأفنوا كثيرا من الناس وقد قتلوا من أهل البصرة وحدها في وقعة واحدة ثلاثمائة ألف " وقد تكلم الناس في قدر ما قتل (صاحب الزنج) في هذه السنين الأربع عشرة ، فمكثر ومقل ، فأما المكثر فإنه يقول أفنى من الناس ما لا يدركه العد ، ولا يقع عليه الإحصاء ولا يعلم ذلك إلا عالم الغيب ... والمقل يقول أفنى من الناس خمسمائة ألف وكلا الفريقين يقول في ذلك ظناً وحسناً إذ كان شيئاً لا يدرك ولا يضبط ... » (47)

— النتائج السياسية

لم تستطع ثورة الزنج صياغة إيديولوجيتها أو أهداف ثورتها لأن الزنج ذاتهم كانوا " قوة متخلفة فكرياً " (48) وهذا ما جعل تصرفاتهم بعيدة عن المنطق والعقل والحكمة " (49) . ومع ذلك فقد أدت هذه الثورة ، بعد نهايتها على يد الموفق في أيام المعتمد على الله إلى " تغير سياسة العباسيين ومعاملتهم للرقبيق وخاصة البيض منهم فقتلوا كثيرا من المناصب الكبرى ، مثل مؤنس الخادم قائد الجيش بالعراق ، وسبكتكين الذي تولى حكم بلاد الأفغان وطولون والد أحمد بن طولون وغيرهم .. » (50)

— النتائج الاقتصادية

إلحاق الضرر الاقتصادي بتلك الرقعة الحساسة في الانتاج ، فقد تعطلت الزراعة في الأراضي المروية .

إرهاق الفلاحين المستقرين في جنوبي العراق ، لأنهم اضطروا إلى تمويل الجيشين في آن واحد ، وإلا تعرضوا للنهب والاعتداء ، وكان قائد العباسيين قد نكل بالقبائل البدوية لأنها لم ترتدع عن تمويل الزنج .

— غلاء الأسعار المفرط الذي نكب به العراق والحجاز في عام (260هـ) فإذا كثر الحنطة يبلغ مائة وخمسين دينارا "

— تضرر التجارة من خلال تعطل المواصلات النهرية طوال تلك الحروب .

— تدمير مدينة البصرة والقضاء على معالمها الاقتصادية والثقافية .. (51)

كما عطلت فعاليات اقتصادية ، زراعية وتجارية ضخمة ، وكلفت خزينة الدولة أموالاً طائلة (52) ورغم ما أفرزته الثورة من نتائج سلبية على المستوى الاقتصادي فإنها ساهمت من جهة أخرى في " تخفيف النظم الاقطاعية وما يشوبها من استغلال واستبعاد " (53)

– النتائج الاجتماعية

أصبح الرقيق عامة والزنج خاصة يدركون أهميتهم وخطورتهم وياتوا يتمسكون بحقوقهم ويطالبون بها ، حتى انهم لم يستسلموا في عاصمتهم المختارة للموقف إلا بعد أن قدم لهم الوعود بتحسين أوضاعهم ... (54) وظهرت النقمة الشعبية ضد علي بن محمد خاصة وثورة الزنج عامة وذلك بسبب أعمال الاحراق والتنكيل التي قام بها الزنة (55) في كل المدن والقرى التي سيطروا عليها بعد أن دخلوها عنوة .

– مقتله

" غدا الموقف يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين ، فانتهى إلى نهر أبي الخصيب ، فواقاه البشير بقتل الفاجر ولم يلبث أن واقاه بشير آخر ومعه كف زعم أنها كفّه ، فقوي الخبر عنده ، بعض القوة ، ثم غلام من أصحاب لؤلؤ يركض على فرس ، ومعه رأس الخبيث فادناه منه فعرضه على جماعة ممن كان بحضرته من قواد المستأمنة فعرفوه ... وأمر الموفق برفع رأس الفاجر على قناة ونصبه بين يديه فتأمله الناس وعرفوا صحة الخبر بقتله (56) وقبل قتله عرض الموفق عليه وعلى أصحابه الأمان إن هم تراجعوا عن حربه ووضعوا حداً لثورتهم وشغفهم ولكن صاحب الزنج رفض العرض وأصر على مواصلة الخروج وعصيان السلطة العباسية وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية بخصوص هذه المسألة ما يلي :

Après une longue période de succès militaires , notamment la prise temporaire d'ubulla , Ahwaz , Baara et Wasit , les armées des Zandj

furent finalement battue par un corps expeditionnaire commande par le regent Muwaffak , et assiegees dans leur capitale il _ Mukhtara , le , chef des Zan et JS refusa l'offre de pardon et de penion officiel et apres l'assaut final qui eut lieu le 2 safar 270/11 dou 883 , sa tete fut portee sur un pieu a baghdad >> (57)

ويضيف ابن الجوزي بأن العباس بن الموفق قدم إلى بغداد ومعه رأس الخبيث ليراه الناس فيُسروا . فوافى بغداد يوم السبت لاثني عشر ليلة بقيت من جمادى الأولى في هذه السنة والرأس بين يديه على قناة فأكثر الناس التكبير والشكر لله والمدح لابن الموفق وأبيه ودخل أحمد بن الموفق بغداد برأس الخبيث ، وركب في جيش لم يُر مثله من سوق الثلاثاء إلى المخرم وباب الطاق وسوق يحيى حتى هبط إلى الحربية ثم اتحد إلى دجلة إلى قصر الخلافة في جمادى الأولى هذه السنة وضربت القباب وزينت الحيطان (58) ويشير علي حسني الخربوطلي إلى أن ثورة الزنج لم تنته فعلا بسقوط عاصمتهم المختارة ومصرع زعيمهم صاحب الزنج ، إذ انضمت فلولهم إلى قرامطة العراق وإلى قرامطة البحرين .(59).

والمتعمّن في مسألة مقتل علي بن محمد الزنجي يلاحظ اتفاق جميع المصادر والمراجع حول نقطتين رئيسيتين هما :
<http://Archivebeta>
- الاتفاق الكامل حول تاريخ مقتله

- وكذلك الاتفاق الكامل حول المدّة التي استغرقتها الثورة بداية من ظهوره سنة 255هـ إلى مقتله سنة 270 هـ وهي أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام.

الخاتمة

لهذا البحث على تشعب وتنوع محتوياته ، وحدة عامة ، تنتظمه كلّ تقرب منه ما تباعد ، وتجمّع ما تفرّق ، ولهذه الوحدة العامة دعائم ترتكز عليها وتقوم بها :
- أولها أن هذه الشخصية اكتنفها الغموض في كثير من الجوانب المتعلقة بها أو بأعمالها . فكان لابد لنا أن نبحت عن مواطن الاختلاف والتعتيم المضروبة حولها كي نكتشف خفايا ما تعلّق بها من أمور ، واتّخذنا لهذه الغاية مسالك معيّنة : أولها -

تعريف شخصية علي بن محمد الزنجي تعريفا مفصلاً يقف على مواضع الاختلاف والاتفاق في اسمه ، أصله ، ونسبه الذي شابه كثير من التعتيم والتغطية .
 - ودرسنا في مرحلة ثانية سياسته وعقيدته ووقفنا على بعض خفايا هذا الجانب المهم . وخلصنا بعد ذلك إلى دراسة أسباب خروجه وما كان دفعه لذلك وتعرضنا بشيء من الإطناب والتفصيل ، لمرحلتى خروجه التي أفرزت جملة من الأعمال المتنوعة : سياسية ، وعسكرية ...

وفي مرحلة أخيرة درسنا مظاهر أعماله ومقتله الذي وضع حداً لتلك الأعمال ..
 أما ما حققه هذا البحث فأرجو أن يكون واضح المعالم بارز القسومات فيما قدمت فيه من عناصر وأقسام .

وأشير ختاماً إلى أن هذا العمل رغم محاولته الجاهدة للالام بكل أسرار شخصية علي بن محمد الزنجي وما تعلّق بها ، لا يدعي أنه يصل إلى الحقيقة المطلقة ، وإنما هو حافز ومنطلق يجدر بي وبغيري من المهتمين أن يواصلوا درسه وتمحيصه .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

* الاحالات

Encyclopedie de l'Islame _ Art : Ali Ben Muhammed AL_Zanaji (24)
 _ Tome I (A _ B) P .400 _ B. Lewis.

(25) " مروج الذهب ومعادن الجوهر " المسعودي - ج3 - ص 195

(26) " الكامل في التاريخ " لابن الأثير - ج 7 ص 405

(27) " تاريخ الشعوب الاسلامية " كارل بروكلمان ص 215

Encyclopedie de l'Islame _ Art : Ali ben Muhammad AL_Zanaji (28)
 _ B lewis _ Tome I (A B) Page 400

(29) " 10 ثورات في الإسلام " لعلي حسني الخربوطي ص 173

(30) " الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية " محمد نجيب أبو طالب ص 203

(31) " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " للعلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي ج 3 ص 688.

(32) " الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية " محمد نجيب أبو طالب ص 205 - 206

- (33) * تاريخ العرب * محمد مبروك نافع ج 3 - ص 252
- (34) * تاريخ الرسل والملوك * للطبري ج 9 - ص 415
- (35) * الكامل في التاريخ * لابن الزثير ج 7 ص 209
- (36) * تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي * حسن ابراهيم حسن ج 3 ص 209
- (37) * تاريخ العرب - محمد مبروك نافع - ج 3 ص 252
- (38) * الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية * محمد نجيب أبو طالب ص 202
- (39) * الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية * محمد نجيب أبو طالب - ص 203 - 204
- (40) * تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي * حسن ابراهيم حسن ج 3 ص 211 - 212 .
- (41) * تاريخ الرسل والملوك * الطبري ج 9 ص 431
- (42) * الكامل في التاريخ * لابن الأثير ج 7 ص 330
- (43) * فهرس الاعلام * لخير الدين الزركلي ج 4 ص 324
- (44) Encyclopedie de l'islame _ Art Ali B Med AL_Zanaji B . Le- wis_ Tome I (A_B) .P.400
- (45) * الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية * محمد نجيب أبو طالب ص 211
- (46) * تاريخ العرب * محمد مبروك نافع - ج 3 ص 253
- (47) * ظهر الاسلام * أحمد أمين ج 1 ص 71 - 72
- (48) * النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية * حسين مروة ج 2 ص 35
- (49) * 10 ثورات في الاسلام * علي حسني الخربوطلي ص 188
- (50) نفسه ص 189
- (51) * الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية - محمد نجيب أبو طالب ص 211 - 212
- (52) * النزعات المادية في الفلسفات العربية الاسلامية - حسين مروة ج 2 ص 35
- (53) * تاريخ الخلفاء ... * جلال الدين السيوطي ص 189
- (54) * 10 ثورات في الاسلام * لعلي حسني الخربوطلي ص 189
- (55) * الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية * محمد نجيب أبو طالب ص 242
- (56) * تاريخ الرسل والملوك * للطبري ج 9 ص 658 - 660
- (57) Encyclopedie de l'islame _ Art :Ali Ben Muhammed AL_Zanaji

(58) * المنتظم في أخبار الملوك والأمم * لابن الجوزي ج (56) ص ص 69 - 70

(59) * 10 ثورات في الإسلام * لعلي حسني الخريوطي ص 190

قائمة بمصادر البحث ومراجعته

- المصادر

- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (224 هـ - 310 هـ)
- تاريخ الرسل والملوك : الطبعة الرابعة (د - ت) - دار المعارف بالقاهرة
- الأشعري : أبو الحسن علي بن اسماعيل (... - 330 هـ)
- مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - طبعة 1 - 1411 هـ / 1990 م - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - لبنان .
- المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (..... - 346 هـ)
- مروج الذهب ومعادن الجوهر : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط (د - ت) المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - لبنان .
- الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (..... - 452 هـ / 1089)
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ط (د - ت) تحقيق : أوغست - كونوغرافيا - بيروت - المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان
<http://Archivebeta.sakmii.com>
- ابن الجوزي : الشيخ الإمام أبي الفرج بن علي بن محمد بن علي (507 هـ - 597 هـ)
- المنتظم في أخبار الملوك والأمم : ط - 1990 - الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان - بغداد - العراق .
- ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني المعروف : بابن الأثير (555 هـ - 630 هـ)
- الكامل في التاريخ : ط 1982 - نشر دار صادر بيروت - لبنان .
- ابن خلدون المغربي : عبد الرحمان (732 هـ - 808 هـ / 1332 م - 1406 م)
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر : ط - 1956 - منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر .
- السيوطي : الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (..... - 911 هـ)
- تاريخ الخلفاء أمراء القائمين بأمر الأمة : ط 1408 هـ / 1988 دار الجيل بيروت - لبنان
- المراجع

- أمين - أحمد
- ظهر الإسلام : (موسوعة أحمد أمين الإسلامية) الطبعة الثالثة (د - ت) دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان
- بروكلمان - كارل
- تاريخ الشعوب الإسلامية : الطبعة الحادية عشرة تموز / يوليو 1988 - تعريب نبيه أمين ومخير البعلبكي - دار العلم للملايين ص . ب - 1085 - بيروت - لبنان
- حسن إبراهيم حسن
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي : دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان .
- الخربوطلي - علي حسني
- 10 ثورات في الإسلام : الطبعة الثالثة - سلسلة الرسالة الحضارية 1986 - دار الآداب بيروت لبنان .
- الزركلي - خير الدين .
- الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين : الطبعة الثامنة - تموزا يوليو 1989 - دار العلم للملايين : مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنقل - بيروت - لبنان .
- أبو طالب - محمد نجيب <http://Archivebeta.Sakhril.com>
- الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية : تقديم الدكتور طاهر لبيب - دار المعارف للطباعة والنشر - بسوسة - الجمهورية التونسية
- مروة - حسين
- النزعات المادية في الفلسفات العربية الإسلامية : الطبعة الخامسة - 1985
- دار الفرابي - بيروت .
- نافع - محمد مبروك
- تاريخ العرب : الطبعة الثانية في القاهرة سنة 1949 - دار العالم العربي القاهرة - مصر
- مراجع باللغات الأجنبية

Encyclopedie de l'Islame _ Article : Ali Ben _ Mohammad AL_ (1
Zanaji _ B Lewis . Tome I (A _ B) _ Page 400

– مدخل للتعريف بعلم اللسانيات –

بقلم : الأستاذ عبد الرزاق الصوري

مقدمة :

لعل أهم الإضافات النوعية في حقل النقد الأدبي كانت من وجهين : وجه معرفي يتمثل في ما حققته العلوم الإنسانية من تطور في مجال علم النفس ، علم الاجتماع ، علم التاريخ الخ ووجه ثان يتصل بقضاء اللغة ذاته والمتكامل في الإنجازات الأكاديمية وظهور العديد من العلوم المتصلة بميدان اللغة والنقد . مثل علم الأصوات La phonetique ، علم وظائف الأصوات : La phonologie ، علم الصيغ ، علم دلالة الصيغ ، علم الدلالة : La semantique ، علم التركيب La syntaxe ، وعلم النص : Le textologie ... الخ .

هذه التراكمات في ميدان اللغة هي في ذات الوقت وليدة أزمة معرفية حادة بحث من خلالها مطبقو الفكر والأدب عن نص جديد وبنيات علامية جديدة قادرة على تحمل « مشاق المعنى » لذلك أمكن أن نسميها : عقلية البحث عن ماورائيات اللغة عبر اللغة ذاتها أو ما سماه « موريس بلانشو » « بالكتابة خارج الخطاب » أو خارج اللغة ذاتها .

قد تختلف المفاهيم للتعبير عن هذا المازق لكن الهدف واحد : وهو البحث عن أفق نقدي جديد يتجاوز دائرة النقد القديم إن لم نقل بصفة خاصة دائرة النقد الإنطباعي كما قننه « سانت بوف » و « هيبوليت تان » الفرنسيان . ويظهر الأكاديمية سجلت هذه المدرسة فشلها وانهارت قوايلها الجاهزة خاصة عندما جرّدت الأكاديمية اللغوية من ميتافيزيقيا الغائية والمعاني الكامنة خارج الألفاظ لتصبح اللغة في النهاية مجرد كيان فيزيائي لا يختلف في شيء عن بقية الأنظمة العلامية الأخرى من حيث

قيمتها التواصلية مثل « نظام الإشارة وأنواع الشيفرة ... الخ »

كما أن الدلالة أو المعنى لا يتحدد في التصور الالسنى الحديث إلا داخل سياقات وأنساق لغوية وتركيبية تتصل بغضاء اللغة في مستواه المركب والمعقد « بالمحور التركيبي » في اللغة أي بالجانب الإجرائي العملي للغة من حيث هي كلام وممارسة فردية ويصل الأمر حتى ببعض الأنساق الأخرى . لتسي تتصل بإيديولوجية الكاتب وكافة المؤسسات الثقافية القمعية الأخرى . لقد أعادت البنيوية صياغة سؤالها لا على نحو غائي يتصل بـ : ما يقوله الكاتب ولماذا يقوله ، بل كيف يقول الكاتب وكيف يتكون ذلك القول أو تلك الدلالة . إنها نفس المسألة التي طرحت بين الفلسفة القديمة في بحثها التصاعدي عن الأسباب وبين العلم في بحثه الأفقي عن الكيفيات . لقد لخص " بارت " هذا التحول في قوله متحدثا عن اللغة أنها تشبه " رقعة الشطرنج " بحيث لا قيمة للكلمة على كلمة أخرى إلا بحسب موقعها في الجملة وعلاقتها بسائر الكلمات الأخرى .

لقد كشفت البنيوية خيوط " الفصاحة " والبيان " ذلك السجن الذي خيم على الأدب العربي سنين طويلة وخصر معاني الفصاحة في النص الديني دون التقطع إلى أن ذلك الطابع المميز للنص الديني ما هو إلا شكلا من أشكال التجاوز لبنيات لغوية ثبوتية (الصور البنيانية المتوارثة قوانين النحو والصرف - العروض ...) . كانت هذه القوالب تمارس تأثيرها بالحفاظ على مضامين فكرية سائدة . (لقد عبر عبـد القاهر الجرجاني عن هذا الأمر في " إعجاز القرآن " وسماه " حسن النظم ") . وأنتهى إلى القول بأن الكلمات والمفردات لا تحمل معاني في ذاتها ، بل إن معانيها تتشكل انطلاقا من علاقة الكلمات ببعضها من حيث التضاد والاختلاف . وفي الحقيقة فنحن عندما نسمي الأشياء بمسمياتها فإننا نقيم أختلافا بينها وبين سائر الدوال الأخرى . وهنا نكتشف ضرورة اللغة كنظام عالمي مميز قبل ضرورة الأفكار إذ « لا يمكننا بدون إعانة العلامات التمييز بين فكرتين بشكل جلي دائم » (دروس

في علم اللغة العام) على حدّ قول سوسير . فالعلاقة ليست لها خصوصيات إلاّ بما تستمدّه من تمايز عن العلامات الأخرى أي بطريقة جدليّة تصبح العلامة المناقضة والمختلفة عن العلامة الأخرى هي التي تبرز وجودها ودلالاتها . « شارل بيرس » أضاف إلى جانب سوسير عاملا ثانيا لظاهرة " الاختلاف " هذه ألا وهو : الفهم والتأويل لتلك العلامة وهو الشيء الذي يساهم كذلك في وجودها . فالقارئ أو السامع يتقبّل تلك العلامة وهو يحمل في ذهنه مخزوناً كاملاً من العلامات تكون محدّدة ومهمّة في تأسيس مدلول " جديد " لتلك العلامة .

1 - الثورة الألسنيّة : سوسير :

منجزات " فردينان دو سوسير " في اللسانيات وسائر العلوم الإنسانيّة وخاصة في نظريته حول اللّغة مثل ثنائية : لغة / كلام أو مفهوم أعتباطيّة العلامة التي أفادت الكثير من علماء اللسان الآخرين مثل : « ويتناي » و « فون إد قابلنتز » . Vonder oabelentz .

يقول إيميل بنيثينيست في كتابه : فردينان دو سوسير في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا (Ferdinand de Saussure a l'ecole pratique des hautes etudes) حول إفادات سوسير في منهجه الوصفي لحالات اللّغة قائلا : «... إنّ هذا يفضي عمليا إلى أنّ خصوصيات لغة ما هي في علاقة الواحدة مع الأخرى ولا يجب أن تتناول بصفة منعزلة (...) ورغم أنّ النحو المقارن في الفترة القديمة ، لا يقارن بين الخصوصيات اللغويّة إلاّ من حيث الأشكال المنفصلة أو العلاقات غير المتناسقة ، كان سوسير يوجّه طلبته إلى المنهج الوصفي الذي أستخدمه بعد من التحليل التاريخي » 30 / 31 .

عرّف سوسير موضوع اللسانيات قائلا : « إنّ الموضوع الحقيقي والوحيد للسانيات هو اللّغة المعالجة بذاتها ولذاتها . »

حاول سوسير أن يتجاوز النحو القديم (النحو المقارن) بأعتبار أنّ هذا الأخير

كما أسسه اليونان يرتكز على المنطق ويبعد كلُّ البعد عن النظرة العلمية للغة فسي حدّ ذاتها . وكلّ ما يهتم به النحو المقارن القديم هو تقعيد اللغة وإدراك الخطأ من الصواب منها أي بصيغة أخرى أنّ علماء النحو القدامى لم يولوا أيّ اهتمام للغة ككلام أي كظاهرة إجرائية داخل الحياة اليومية كما يستعملها الناس وأكتفوا فقط بالبحث داخل سكونية النظام اللغوي المتعالي .

فالألغة في الحقيقة لا يبحث عنها في القواعد والقياسات والمدونات (corpus) بل في أشكال الإستعمال المنطوقة أو المكتوبة أي البحث فيها داخل سياق التاريخ . وحتى الفيلولوجيا (علم اللغة أو فقه اللغة) فقد بقيت هي الأخرى تنظر إلى اللغة كأداة تواصل وتعبير فقط داخل الأنشطة الأدبية والفكرية وكما قال سوسير فهي تقتصر فقط على اللغة المكتوبة ونسيت اللغة الحية . والسائد في تلك الفترة كما يوضّحه سوسير هو تعريف اللغة من قبل علماء الفيلولوجيا بكونها قائمة من المصطلحات أو الفرائد Nomenclature التي تتّصل بقائمة من الأشياء الخارجية .

إنّ غياب كلّ أرضية إبستيمولوجية لتناول مسألة اللغة من زاوية علمية عملية هو الذي قاد سوسير إلى نقد علم النحو المقارن والفيلولوجيا القديمة .

إنّ فضل سوسير أيضا لا ينكر في كونه قد أسقط أسطورة التفاضل بين اللغات التي استقدمت لتبرير فكرة التفاضل بين الأمم إذ يقول : « إنّ مادّة اللسانيات هي متكوّنة قبل كلّ شيء من كلّ التظاهرات للغة البشرية ، سواء تعلّق بالشعوب البدائية أو بالأمم المتحضّرة بالحقباء القديمة الكلاسيكيّة أو المتخلفّة أخذين بعين الاعتبار في كلّ فترة ليس فقط اللغة الصحيحة أو "اللغة الأحسن" ولكن كلّ أشكال التعبير » 20 .

أمّا مهمّة اللسانيات فيحدّدها سوسير في ثلاث نقاط أساسية هي كالتّالي :
أ - محاولة " وصف " و " تأريخ " كلّ اللغات الممكنة والقيام بتأريخ العائلات اللغوية

وإعادة تكوين بذلك إن أمكن " اللغات الأمهات " لكل عائلة لغوية .
 ب - اكتشاف القوى التي تختفي وراء خلود وعالمية كل اللغات وأستجلاء القوانين
 الموضوعية العامة التي تتحكم في تاريخية هذه اللغات .
 ج - تحديد وتعريف نفسها بنفسها . أي يجب على اللسانيات أن تعرف موضوعها
 ومنهجها وأن تستقل عن باقي العلوم الأخرى مثل : علم النفس - الفيزيولوجيا
 الفيلولوجيا والأثنوغرافيا .

لقد حدد سوسير كذلك الممارسة الكلامية بكونها تركيباً معقداً تتظاهر على
 إنتاجه العديد من الظواهر الفيزيولوجية والنفسية ... وأنتهى إلى تعريف العلامة
 بكونها وحدة معقدة بين الصورة السمعية والمتصور concept + image
 acoustique . لم يضع سوسير لفظ الدال والمدلول - signifie et signifi-
 ant إلا في دروسه الأخيرة وأنطلاقاً من ثنائية : اللغة / الكلام / pa-
 role استلزام سوسير أن يضبط مهمة اللسانيات الحقيقية قائلاً : « إن دراسة
 اللغة إذاً تتضمن قسمين : القسم الأساسي الأول موضوعه اللغة وهو ظاهرة
 اجتماعية في جوهرها ومستقلة عن الفرد ، وهذه الدراسة هي فيزيائية بالخصوص .
 القسم الثاني موضوعه الجزء الفردي من اللغة أي الكلام متضمناً اللغوية فهي
 إذاً دراسة فيزيائية - نفسية » 39

شدّد سوسير على أهمية الكلام بالنسبة إلى اللغة أولاً لأن ممارسة اللغة
 (الكلام) هو السبب في تطورها . يقول : « إن الإنطباعات التي نلتقأها من
 الآخرين هي التي تصوّر طبائعنا اللسانية » 39 - 37 والأهمية الثانية هو أسبقية
 الكلام على اللغة أي أن اللغة لا يمكنها أن ترسخ بقواعدها وضوابطها في ذهن
 البشري إلا بعد تجارب عديدة والطفل عادة يتدرّب على معرفة كاملة بقواعد اللغة .
 إن ثنائية : لغة الكلام هي التي مهّدت لسوسير وضع نظرياته الأخرى حول :
 المنهج الديكارتي والمسكروفي - المحور التوزيعي والمحور الاستبدالي ،

Axe paradigmatique __ Axe syntagmatique الفوخولوجيا - الفوفونيكيا .
وهذا التمييز بين اللغة والكلام عبّر عنه نوام تشومسكي بعبارة : التجربة Com-
petence والنتيجة performance : ومن هذا التمييز بين لسانيات اللغة
ولسانيات الكلام أضاف سوسير ثنائية أخرى هي : اللسانيات الخارجية واللسانيات
الدأخلية . يقول سوسير : « بالنسبة إلى اللسانيات الدأخلية ، فهي لا تقبل بأي
نص ، فاللغة [عندها] هي نظام لا يعرف إلا ترتيبه الدأتي (...) » فاللسانيات
الدأخلية إذا تتناول الظاهرة اللغوية كجملة من القواعد والضوابط أي اللغة فهي
علاقتها بذاتها عكس اللسانيات الخارجية التي تربط اللغة بالعوامل التاريخية
والسياسية والإقتصادية والدينية والجغرافية .

ونفس هذا التمييز قاد إلى مقاربتين أخريين : اللسانيات السنكرونية واللسانيات
الدياكرونية . الأولى تدرس اللغة بصفة سناتيكية ثابتة أي تدرس الظاهرة اللغوية
في مرحلة تاريخية محدّدة أما الثانية فتدرس النظام اللغوي متطوراً داخل سياق
تاريخي . وعالم اللسان دائماً يُحبذُ الفضاء السنكروني نظراً كتشعب المقاربة
الدياكرونية والتي تصل علم اللسانيات بعلوم أخرى من شأنها أن تقضي على
موضوع اللسانيات الذي هو اللغة لذاتها وفي حد ذاتها . يقول سوسير : « إن
اللسانيات السنكرونية تهتمّ بالعلاقات المنطقية والسيكولوجية التي تربط مصطلحات
متعايشة ومكوّنة نظاماً ، كما يقع رؤيته من قبل الوعي الجماعي » أما
« اللسانيات الدياكرونية فهي تدرس بالعكس لعلاقات الرابطة للمصطلحات المتتابعة
غير المراثية من قبل نفس الوعي الجماعي » 140

توجّه سوسير بالنقد لعلم النحو القديم وفلسفة اللغة القديمة التي عرّفت
اللغة بوصفها قائمة فرائد أو مفردات وهذا التعريف يتضمن إيماناً كانطياً مسبقاً
عن الأفكار المأقْبَلَةُ التي تستقلّ عن الكلمات . يقول سوسير : « لم يعطنا النحو
القديم هل كان الرسم ذا طبيعة صوتية أو فيزيائية ، لأن الشجرة مثلاً يمكن

أن تعتبر حسب هذه الظاهرة أو تلك .»

الفيلولوجيا القديمة أدركت أن الرّابط بين الاسم والمسمّى هو رِبط مباشر وبسيط بينما هذا الإعتبار ليس على غاية من البساطة إذا علمنا وأنّ العلامة في حقل اللسانيات ليست متكوّنة من إسم + شيء chose + nom . وهذا بدوره متصوّر وصورة سمعية concept + image acoustique . وهذا بدوره يعود بنا إلى التعريف الماركسي لعملية الإدراك أو تعريف المادّة كمقولة فلسفية انطلاقاً من نظرية الانعكاس . واللّغة بذلك هي إحدى تظاهرات ذلك الانعكاس داخل الذهن البشري وما تشمله من تأثرات نفسية وفيزيولوجية . وسوسير يضع الرسم التالي مبيّناً العلاقة الجدلية بين المتصور والصورة السمعية :



يقول سوسير : « إن الخاصية النفسية لصورتنا السمعية تظهر أكثر عندما نلاحظ لغتنا الخاصة . فبدون تحريك الشفاه واللسان يمكن أن نكلّم أنفسنا أو أن نعيد شفويّاً مقطوعة شعرية . فقط لأنّ الكلمات في اللّغة بالنسبة لنا هي صور سمعية .. » 97 . 100

في حقل اللسانيات لا يمكن أن نحمل اللّغة إلى أشياء خارجية عكس النظريات القديمة التي تقتضي أشياء ومفاهيم جاهزة خارجة عن اللّغة ولربّما قد تنبّه سوسير إلى فكرة الانعكاس عندما ساق مثال الألوان في قوس قزح وأنتهى إلى أدّ

الفرنسيين يميّزون بين سبعة ألوان وفي زمبيا تميّز اللّغة المحليّة فقط بين ثلاثة ألوان ، وفي ليبيريا لونين فقط ، ومن خلال هذا المثال أستنتج سوسير أن كلّ لغة تمثل واقعها وأن الأفراد في الحقيقة هم الذين يجزّؤون الوحدات اللّغويّة ويصنّفونها لقد تنبّه تشومسكي إلى هذه الظاهرة أكثر عندما أكّد أهميّة علم النّفس فـ في توليد اللّغة قائلا : >> إن الشخص المتكلّم يخترع نسبياً لفته الخاصّة كلّما عبّر أو يكتشفها من جديد كلّما سمعها من حوله << 14-15

انطلاقاً من التمييز بين اللّغة والكلام ينتهي سوسير إلى التمييز بين محور التوزيع ومحور الاستبدال أو لنقل بكلّ بساطة بين المفرد والتركيب وفي حقل التركيب لا تتخذ الكلمات أهميّة في ذاتها بقدر ما تكتسب قيمها من الفوارق والعلاقات التي توحدّها أو تعارضها وهذا التعقيد في المحور التركيبي يجعل اللّغة تترك داخل فضاء فيزيائي نفسي يصل علم النّفس بعلم الأصوات .

حاول تشومسكي أن يتجاوز ثنائية سوسير نسبياً بمحو التناقض بين الكلام واللّغة كمؤسسة اجتماعيّة باعتبار أن عوامل جديدة كالبيولوجيا وعلم الوراثة والنسالة (Phylogénise) تتدخل كلّها لتعطي الكلام طابعاً اجتماعياً . هذه التحصيلات الخارجية تمثّل مكوناً ثالثاً ينضاف إلى ثنائية سوسير .

جاك لاكان أضاف بنية ثالثة تجاوزاً لثنائية سوسير كذلك (اللسان / الكلام) هي بنية اللاوعي اللّغوي وهذه البنية مخالفة للبنية اللغوية العاديّة وهي ما أطلق عليها شارل بالي البنية " التعبيرية " L,expressivite في مقابل البنية الانفعالية L,affectivite . إن أهميّة لاكان تكمن في أنّه أعاد الاعتبار للفرويدية في حقل اللسانيات البنيويّة لكنه واجه صعوبات كثيرة في اكتشاف لغة الرّموز أو الشيفرة الخاصّة لمنطقة اللاوعي وهذه اللغة السرية عند جاك لاكان وجدت ضالتها داخل دائرة البيان أو المجازل الاستعارية - التخيل (...) ولاكان يعتبر في مولفه " كتابات " أن الحلم وزلات اللسان والقلم هي لغة عميقة (البنية العميقة) تنضاف إلى البنية السطحية . وهنا تكمن مرّة ثانية أهميّة لاكان في تخطّي ثنائية الدالّ والمدلول

السوسييري بواسطة علم النفس التحليلي .

لقد كان سوسير رغم كل شيء واضح حجر الزاوية للنظريات اللسانية
البنوية التي أتت بعده سواء بتجاوزه أو بالحفاظ على نفس التقسيم اللساني
وتغير المفاهيم فقط ، مثلما فعل بارط بتعويضه ثنائية اللفة / الكلام بالشكل
والاستعمال Usage _ schema لسبب واحد هو أن بارط كان يمهّد
للسيمويولوجيا أو علم العلامات مستلهما بذلك مبادئ التحليل النفسي كما
استغلها لاكان إلى جانب إنجازات سوسير في حقل اللسانيات ، وعموماً فإن
حضور رولان بارط في دائرة النقد الحديث هو مزيج من الماركسيّة والفرويدية
والبنوية والشكلانية .

* المراجع :

« دروس في اللسانيات العامة » فردينان دو سوسير

« النقد البنوي الحديث » : الدكتور : فؤاد منصور

« دلائل الإعجاز » : عبد القاهر الجرجاني

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

أدونيس وابستمعية الحداثة في الشعر

بقلم : رمضان البرهومي

لكلّ ، مُسأِلة أسس تقوم عليها وميكانيزمات تنبُعُ الحركة بين أطراف ،
الجدل ، فيها بصرفِ النظر عن الفضاء المتصلة به . هذه الفعاليات التي تحكم
سير نقد الأدب العربي الحديث ، تكادُ تُختزلُ في تفصُّدِ خارطة النقد إلى
مساحتين في السياق الشعري . اقتُرنت الأولى بالإنطواء على البناء العمودي
للقصيد لمبرر جمالي / تناعمي له حضور مكثف في الوجدان العربي ، إضافة إلى
صميمية هذا الشكل في علاقته بالقرّات الأدبي ...

وحاولت الثانية رسمَ صورٍ شعريةٍ تجاوزَ النموذج المؤرّث ولم يكن الوعي غالباً
في البداية بما يمكن أن تميل إليه التجربة من شروخٍ في مدونة الشعر العربي
المعاصر ورجمٍ بإتهامات التمرّد على الذاكرة الأدبية والتقوقع على التراث الشعري
في شكله الجاهلي هذه المجاوزة " التلقائية " في بدايتها إمتلكت تالياً ترسانة من
التصورات النظرية الموجهة لحركة الإبداعات الشعرية الحديثة ولم تخرج في بدايتها
عن دائرة الشوق بما هو الرّحم التاريخي "للولادات الصمَاء " لديوان العرب
ولا يعني ذلك أن الشعر ذو جدوى شرقية فحسب على زعم الشعراء أو النقاد
الفنويين ... وغالباً ما يتواشج هذا التطويق النظري لتجربة الشعر الحق . بما
نسجه " علي أحمدب سعيد " .. أدونيس من مبررات تقتضي مُحايّة بين السياق
العمودي والتثري للشعر العربي ...

ولعلّ هذه الموازة في عمق المضمون رغم تباينات الشكل ، هي التي شكّلت

درجة الجوهر وملاحق أخرى متحوّلة ...

في هذا المستوى من الحصص النقدية غلب " أونيس " المحافظة على الصور الشعرية دون التزام بالتقيد العروضي لأنه لا يعكس بذرا في اللغة ... إنه مجرد هندسة لنسيج من المفردات المؤدّة لغنائية يطرب لها الإنسان العربي لتتأسق بين القوافي ... على أن إحدى البدايات المفترضة في الإحاطة بذاكرة الثقافة العربية ، هي أن الشعر بما هو رحم لغوي قابل ، للتشكيل من صور متألّفة كانت أم متناثرة لامست الوقائع والمنشودة في دائرة الإنسان العربي قديماً فهل ، يسوّغ لنا ذلك الإقرار بسرمدية القافية في تمثّل مواجيدته وإنفعالاته ؟ بمعنى آخر هل ، يستوعب الشعر المفارقات القائمة بين دوائر الزمن المتسارعة في ديناميّتها ؟

يبدو أن إمتلاك " أونيس " لشرائط الوعي المقارن قد فجّر نظير هذه المساءلات التي أفضت إلى خلخلة جملة من الثوابت في أبنية ومكونات الأدب العربي ممّا برّر " لأونيس " إستشراف الثابت والمتحوّل ، في إطلاقه الفكريّ والأدبي بمّا تؤدي إليه تلك الإبداعات من تأسيس نمط من الوجود الفاعل ، أو المنفعل ، في محطات الزمن الحضاري للمجتمعات والأمم .

فالتّص بهذه الصورة علامة دالّة على قيادة أو إنقياد النسيج الإجتماعي الذي أفرزّه . هنا تبنو طرافة " أونيس " لما تعقّب مقتضيات الإنخراط في حركة التّحديث الإنساني وإستيعاب مبتكراتها فأرجعها إلى ضرورة مجاوزة النصّ الشعري نسيجه الشكلي . فيقتحم بذلك على شعرنا المعاصر " لكي يكون جديداً حقّاً ، أن يُمسك بلحظته الزمنية الحضارية ويصدر عنها ، فلا يكون إعادة أو إجتراراً أو أي نوع من أنواع الخضوع للتقليد فإن الارتباط بالتراث هنا يكون ارتباط خلق ، وإضافة وإستباق ... " (1)

ونخلص من مفاصل ، هذا القول إلى أن ولادة الإبداعات الشعرية الحديثة مقترنة بجملة من التحوّلات " الاستيمية " المعاصرة وليست إقراراً إعتباطياً كما يعرضها " العموديّون " بحدية المناوئين على أسس عاطفية ...

هؤلاء الذين صوروا لنا في طفولة " التلقّي " و " التلقين " أن الشعر لا ينساب
بجماليته القصوى إلا في كسانه " الخليسي " ... وأن الشعر الجاهلي " خدر
الذاكرة " لا يمتلك أي ناقد إمكانية إقتحامه إلا بحمله [السيف والقرطاس والقلم]
نرى أن هذا التوجس هو من أبرز دواعي تقلص مؤلفات نقيّة جادة في الأدب
الجاهلي نكاد نقف بعد معين من المبالغة عند إشارة " طه حسين " للشك في تدوين
الشعر الجاهلي ولما بدت الملامح الأولى لتلك القراءة الجادة بمقاييس الدراسات
اللغوية الحديثة . تربصت به أقلام عديدة من مختلف البلاد العربية . وقدمه
المنتقدون في صورة الأعمال الذي اكتسب بصيرة غريبة ومن اللافت أن قراءة " طه
حسين " قد هيأت من غير قصد غالباً لتأسيس قراءة إستيعمولوجيّة تعترف
بنقائص حركة التدوين وإضطرابها خاصة لتبرير التجاوز من جهة المحدثين ،
في وعيهم بالتحوّلات في سياق الأدب الكوني ... وذلك ما يدعم رؤية " أنونيس "
ويكسبها مبررات إبستميّة . "حركة الشعر الحر" التي خرجت من رحم الرّومنطقيّة
العربية لم تكن مجرد حركة عرضيّة ، بل ، حركة نمو عميق فرضته طبيعة
الحياة الجديدة ، وفرضتها عالميّة الثقافة الإنسانية المعاصرة " (2) فليست
الإبداعات الشعريّة الحديثة إستجابة لنوازع ذاتيّة ... إنها ملامسة لخصائص هذا
العصر الإبستميّة في عمقها . ولا يفيد ذلك أسعي إلى إتلاف مدوّنات التراث
الشعري ... لأن التعامل الحدي والتقابل التنافري بين القديم والحديث مازق تتورط
فيه الثقافة العربيّة في هذا الزّمن بمجمل خرائطها الإبداعية بإعتبارها البساط
النظري الذي يعكس مكونات الذاتيّة العربيّة التي توزعت لقرون عديدة بين حديّ
الإغراق في الجنود الموروثة والمحاكاة لنظائر ثقافيّة يونانيّة وفارسيّة ثم .. أروبيّة
حديثة . وعلى أساسي إستيعاب هذا التشظّي نستوعب هذه المساجلات حول رؤية
أنونيس " النقدية المستوحاة من سلسلة التحوّلات المعرفية في مستوى المناهج
وإيس الشعر سوى يافطة تحلّ لأهل عصرها قيماً ومعارف ... ربهذا المعنى -
إنتهى عهد الثقافة الشعريّة القديمة وعبثاً نتمسك به وننفخ فيه ، عملنا اليوم

هو أن نتخطاه إلى عهد آخر ... " (3) .

هكذا يكتسب فعل ، التخطي شروط الإستمرار إستناداً إلى الوعي بضرورة التّجاوز من غير إستعلانية في التّعامل ، مع التّراث الشعري ... وهو ما يقتضي الإعراف بالخصائص الإبتيمية والقضاء الطّبيعي بما يولّده من صور شعريّة مكوّنة من نسج مفردات توحى بوحشة الصّحراء وصلصلة سيوف القبائل ، العربيّة في الشّعْر الجاهلي . فكانت اللغة بذلك هي الصّنو الذي إستوعب " والأهمّ من ذلك أنّهم فطنوا إلى أنّ الغموض الذي من هذا النّوع لا يتنافى مع الوضوح والبيان بل ، هو الذي يحقّقهما ويقود القارئ إليهما " (4) .

وليس مودى ذلك التّبرير إلحاف النصّ الشعري الحديث بمفردات يغلب الإبهام على نسج العلاقة بينها ولا التّبرير أيضاً لتسذيج الإبداعات الشعريّة . وعلى أساس هذه الملاحظات ترفع دواعي حديّة الجدل بين القول ، بالانخراط في الكتابة الشعريّة العموديّة أو النّثريّة إذا ما حافظت النّصوص الحديثّة على مقتضيات المضامين الصّور والقرى الشعريّة التي تنهى الأسر الزّماني والمكاني ... هنا ينزّل ، " أنونيس " التّجارب الشعريّة في سياقها الكوني بما هو خارطة ترتسم على مفاصلها دلالات التّوتر والقلق الوجودي بما أفضت إليه التحوّلات المعرفيّة والإجتماعيّة في حدودها الضيّقة ... فتخصّب القصيدة من حيث إستيعابها لمشكلات الوجود الإنساني في تجليّة الفرديّة . وذلك ما هيأ " لأنونيس " مواجهة إستفهامات أدّى إليها قدرُ الحداثّة بما تؤسّس له من تفكيك للتقليدي في الثّقافة العربيّة عامّة وعلى هذا فإنّ للشّعْر الحديث دعائم إبتيمية ومبرّرات حضارية ومنّ الأفضل للعمل النّقدي أنّ يتخطى هذه المناورات القائمة على مواقف مفتقرة لأسس إستمرارها بين العموديين والنّثريين . في ضوء هذا التّجاوز تردّ الإضافات الشعريّة مثقلة بمشكلات الإنسان المعاصر وتصوراته مواجيد الشّعراء قديماً وهي الرّحم الذي تتكرّر منه الولادات الشعريّة في أزمنة متتالية ، نون إقتضاء الأشكال الموروثة في التّكوين الشعري إذ لا يجوز في تقدير " علي أحمد سعيد " أن يكون " التمييز

بين الشعر والنثر خاضعا لمعيارية الوزن والقافية ، فمثل هذا التمييز كمي ، لا نوعي
 كذلك ليس الفرق بين الشعر والنثر فرقا في الدرجة بل ، فرق في النوع ... (5)
 ولا إتصال لهذا المستوى من التباين بعمق التعابير والصور التي تحمل على
 الشعر ... وعلى هذا الأساس يبدو أنه من غير المستساغ للتبشير بمرحلة ما بعد
 الشعر على نحو ما نسب إعتسافا " لأنثونيس " وهو ما أودى إلى موجة من
 الغوغائية بين النقاد وضبابية الفصل بين قوالب الشعر وما يُحيل إليه من حس
 شعري عبر الرموز اللغوية التي وسمت مدونة الشعر أو الأدب العربي القديم فيما
 كان يلامسهم النواثر المحرجة قيمياً بالمعنى الأشمل المفردة ولا ندري لم يعمد
 إليه فريق من النقاد من رجم بعض الشعراء المحدثين بالإيغال في مساحة
 الغموض لما شهد الشعر العربي ولادات مساوقة لما يستحدث من إبداعات فيكون
 بذلك أشكال الكتابة الرمزية وقد أدرك العرب القدامى أن الغموض مقوم رئيسي
 في الشعر المتصلة بالإستحداث " المعرفي " حول الإنسان والعالم %

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

* الهوامش :

- 1 - أنونيس : زمن الشعر دار العودة ، بيروت ط (3) ص 47
- 2 - منيف موسى : " في الشعر والنقي " دار الفكر اللبناني بيروت 1985 ص 212
- 3 - أنونيس : زمن الشعر ص 47
- 4 - أنونيس : ن . م . ص 15
- 5 - محمد الهادي الطرابلسي ، بحوث النص الأدبي ، الدار العربية للكتاب ، 1989
 ص (174)

شكراً للشبّاك !

شعر : أحمد الحباشة

فوق السطح جلست

نظرت

كان الليل عيباً

وضياءاً مستوراً

والشبّاك يناديني مبهوراً

مفتوحاً فمه مسروراً

غير القطعة فوق السطح

لا شيء

ألقىت الخدين على الكفين

ورميت العينين على الشبّاك

أدخلني مشكوراً

كان الوقت هزيعاً

كان سافر بي في عينيها

يلقيني مفتوناً بالسحر

مجنوناً بيديها تفتح أزوار الصدر

كان الشعر الفضي سريراً للعطر

وأنا فوق السطح ...

كالبحر

تقطر بي شهوتها

كالمدّ وكالجزر
ما أبهى الورد على الجسد
ما أقسى الموج على كبدي
أدخلني الشباك إلى غرفتها
وبلا رغبتها ، وعلى غرفتها
كانت في صمت أنوثتها
تتغطى بطفولتها

قف يا ليل .. قف يا بحر
الآن الكون هدوء ...

دعني فوق سرير الحلم ليقظتها
أتملي جسداً فاكهة
أوقعني أغراني

وزماني أنساني كل الدنيا
وقفت جلست

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

عند المرأة تمشيط فضتها
قلبي يقفز ينبض نبضتها
المرأة تعاشقها وتعانقها
حتى الجدران تناظرها
وتلامس بشرتها

حين على الظهر تمدد رغبتها
وأنا فوق السطح أشاكس نزوتها
وأنا موقوف النبض برؤيتها
ماء القطر على الشباك
ضحك الكون على رعشتها

انتفضت والخوف تولأها
 من يدخل غرفتها
 شبح أم وجه مستور
 أنطقه لخوفاً
 أوقعها .. داس مواقعها
 أفرغها مارسها ،
 أوحش صمت الليل
 أهرق ماء السيل
 والدم في القلب يفور
 من فوق السطح نزلت أجر دموع الليل
 بي وجع في القلب
 يكبر فيه الذنب
 ومواء القط يلاحقني
 من فوق السطح
 كالجرح النازف كالقيح
 كالزمن الفارق في القبح
 من فوق السطح نزلت معي
 أتعاب الصبح !!



اغتراب النّوارس

شعر : محسن الكريفي

أَتَنَامِينَ ؟

كيف تنامين ؟ ! !

وتلك البلاد بعيدة

ووجهك أقرب مِنِّي إِلَيَّ

وطيفك أقرب من خاطر مرّ

ثم انتحر

وتلك البلاد بعيدة ...



http://Archivebeta.sakinit.com

أَقْلَبُ الطَّرْف ...

في هَذَا المساء اغتراب النّوارس

في هذا المساء ينام وحيدا

يرقب اغتراب النّوارس ...

القائظون من الذّكريات

يعودون لحظة التذكّر

كانوا يعودون بالصبر والموت والشعر

وماذا هو اللّيل لو لا انتظاري ؟ ! !

أنتامين ؟ ! !

هل تشعرين بكمّ ضعفي

أمام القرن والصمت والذكريات !

لقاء ... ولقاء ...

أتواصل مع ما تنادي

وأسرح احتمالا مذلّاً

وأشهق بالصمت

لا تحسبي القلب خاوياً وخاو هو القلب إلا ...



من الوجد ، من الوهن

والذكريات الحزينة .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وأنسى ...

أحاول أن أنسى ...

أحاول في البعد أنسى

وأحكم إغلاق القلب

أمام التواشيح

أمام القوادح ..

أمام صوت النواقيس

والحزن يبدو بعيداً

ويبدو قريباً ..

ولا شيء يبدو سوى الحزن

هل من هروب لهذا الجسد ؟ ..

كفاني أعيش على ذكرها
وأكتب فيها قوافي في الهوي ..

وأدخل للعشق ..

فصلا جديدا ..

يزيد التورط حتى المنى ...

وأرسم بالدمع

مساحة حزني

وأجمع للعشق كل الوفاء ..

فيكفي القلوب احتراق

اليقين ..

ويكفي القصيد لهيب

الضئلي ..

كفاني أعيش على ذكرها

وأبقى وفيها

لحلم الصبى ..

وأعلن للصمت

بوح الشجون ..

وأعلن للحب

تيه الملا ..

كفاني أعيش على ذكرها ...

كفاني

أعيش

على

ذكرها

شعر :

خالد ردّاوي

وأعدم كل حروف
الهجاء ...
وأثبت للشعر ..
بحر الدموع
ومن يستشف فنظمي
دماء ..
كفاني أسير على
خطوها ...



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وأرقب في السير ذاك البهاء ...
فتغتال قلبي شفاه
العبير ...
وتغتال شعري
عيون المهـا ...
كفاني أعيش على نكرها ..
وأزهر صلحا
لعشق بدا ..
فزادت بحوري
قيود الحنين ...
وعادت سطوري
لتبكي الضمى ...

وضجت حروفي
لهول الأنين
ومالت رسومي لأسر الجفاء ...
كفاني أعيش على
ذكرها ...
وأنثر شعري على زهرها ..
وأبحر حتى
أمل الملا ..
ثم أعود إليك كسيरा ...
وقد قيدوني
بأسر الهوى ...



1) هذا القصيد تحصل على الجائزة الثانية في مهرجان الشعر بالمتلوي في دورته الثانية .

مِنْ وَحْيِ النُّورِ

شعر : عادل الطرابلسي

إِنَّ انْبِلَاجَ الصُّبْحِ عَلَّمَ مُهَجَّتِي
 وَعَلَا نِدَاءُ الشَّمْسِ فِي آفَاقِهَا
 فَغَنَوْتُ أَصْغَى خَاشِعًا لِنِدَائِهَا
 وَمَضَيْتُ أَتْلُو أَبْهًا فَتَبَدَّدْتُ
 وَلَمَحْتُ دَرْبِي فِي الْحَيَاةِ مُكَلَّلًا
 وَشَدَا فُؤَادِي حَالِمًا مُتَرَنِّمًا
 وَرَأَيْتُ نَفْسِي سَابِحًا كَالْبَلْبُلِ
 وَالرُّوحُ مِنِّي سَاجِدٌ مُتَبَتِّلٌ
 مَنْ كَانَ عَبْدًا لِلضِّيَاءِ أُسْرَى بِهِ
 فَالنُّورُ رَبِّي وَالَّذِي قَدْ آمَنَ
 أَنَّ الضِّيَاءَ أَنْشُودَةَ الْأَحْيَاءِ
 يَدْعُو الْوَرَى لِعِبَادَةِ الْأَضْوَاءِ
 وَهِيَ تُنِيرُ كُلَّهَا ، أَنَحَائِي
 بِالنُّورِ حَوْلِي حُلُكَةُ الظُّلَمَاءِ
 بِالسَّحْرِ وَالتَّغْرِيدِ وَالْأَشْدَاءِ
 فِي الصَّدْرِ أَبْلَى شَقَوَاتِي وَعَنَائِي
 وَالزَّهْرُ حَوْلِي مُطْرَبُ بَغْنَائِي
 لِلَّهِ شُكْرًا حَبَّوهُ نِعْمَائِي
 رَبِّي إِلَيَّ جَنَاتِهِ الْغَنَاءِ
 بِاللَّهِ حَتْمًا فَازَ فِي الْأَحْيَاءِ .

تفضل الأديب الكبير: عبد الرحمن مجيد الربيعي فأمدنا - مشكورا - بمجموعة من أعمال مبدعين عراقيين
شبان، ونحن إذ نعبر عن اعتزازنا بصداقته وإياهم، نشرع - بكل سرور - في نشر هاتيك الإبداعات ...

خُدوش

شعر : منذر عبد الحر (العراق)

إلى (س) .. «أريدُ أنْ أخدش ذراعَكَ ، لأعرفَ دمي»

_____ *

بقايا العناقيد

والصورُ الممزقة على الموج

تأخذني لسيلٍ مقلوبٍ

ونداءٍ ذابلٍ تحت أريكته

* * *

كُنْتُ أراكِ تقطفينَ النجومَ

وترتقينَ القمرَ بالطفولاتِ

تدخلينَ الفواختَ من النوافذِ إلى رفوفي

وتجردّينَ أصابعي من الزُّبدِ

لذلك ...

خضبتُ ذكرياتي بالتُّهمِ

وأعددتُ درساً من التركاتِ

غَلَقْتُهُ بِالْمَطَرِ
وَدَسَّسْتُهُ فِي حَقِيْبَةِ مُرَاهِقَةٍ
فَشَلْتُ فِي الْإِمْتِحَانِ !
* * *

لَمْ أَكُنْ سَيِّدَ خَطَوَتِي
وَأَنَا أَرَى جَنَاحَكَ يَبَارِزُ الرِّيحَ
وَيَعْدُنِي بِالطَّلَاسِمِ
* * *

حِينَ تَهَافَتَ الْبَرْتَقَالُ عَلَى النَّدَى
وَتَلَصَّصَ - مِنْ السُّورِ - عَلَى الشَّرَاشِفِ وَالْخَيَانَاتِ
كُنْتُ، مَأْخُوذَةً بِالنَّيْلِ مِنْ صَهِيلِي
وَالنَّايِ إِلَى شَرْقَةِ أُخْرَى
وَأَنَا ،
http://Archivebeta.Sakni.net

أُخْفِي كَوْوَسِي فِي وَهْمِ شَذْبَتِهِ مِنَ الْمَرَايَا
وَعَلَقْتُهُ عَلَى الصَّرَخَاتِ
* * *

كُلَّمَا يَصِلُ الْحَانِكُ حَاقَةً اللَّيْلُ
يَسْتَعِينُ بِالتَّبِغِ وَيَنْسَى عَيْنِيهِ
يُرْسِلُ بَاقَاتِ اللَّهْفَةِ إِلَى ابْنَتِهِ
الَّتِي تَعَصُرُ الْفَجَرَ

وتقدّم لحبيبتها رُماناً وموسيقى !

وأنت ..

تسألين عطشي عن فتنٍ وراياتٍ

ومساءاتٍ لا تنطفئ ..

* * *

الهزائم ..

علّمتنا أن نتلمّس رؤوسنا - دائماً -

للتأكّد من القُبعات !

والفرائس المدلّاة من سقوف النّدم

تعيدنا لللازيم

الذي سيّشمُ العمر بالشحوب

ARCHIVE * * *

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لم أوروبّ خلاصي على الأغنيات

إذ رمتني الدهاليزُ إلى مرمرٍ

كبّل النبض

وقاد الطيور لشك ..

* * *

الهزائم .. تأخذُ القرايين من تقاويمنا .. جرساً .. جرساً

نسألُ الأمّهات عن الإنتظار | يمدُّ يديه إلى الدّم ،
وأحلامنا عن رثاءٍ | ويمضي وحيداً إلى الحرب

وضحكة عينيها الساحرتين الواسعتين

- صباح الخير ! قالتها بصوت خافت ونبرات ساخرة !!

- صباح الخير ؟ رددت هذه الكلمة مُدَّوعِيَةً ؟ يا خزانتي .. يا

عطوري ... يا مَأمَا ... يا ... يا ... ! كم تبدو منافقة هذه الكلمة !

كم رددت هذه الكلمة ؟ الخير ؟ ما هو الخير .. ؟ وسكنت .

كم رددت هذه الكلمة ؟ فكم تحقق الخبر من مرة ؟

لماذا أُحيي ذاتي ؟

صباح الخير " يَا أَنَا " ! ... هذا الصَّبَاح لي وحدي . لن يطمع

كائنٌ بتحيني اليوم !

انتصبت على الفراش ، نظَّرت في مرآتها .. تحسَّست قسَمَاتِ

وجهها داعبت خصلات شعرها ... سبجت في لُجْ أَفكارها ...

رَنَّتْ إلى كُلِّ ما في الغرفة كأنها لا تعرفها !

صباح الخير يا محبرتي ... يا أوراقِي .. يا كُتُوبِي .. يا

عطوري ... يا فساتيني .. يا .. أنا ! أنا خائنة ! أنا غادرة !

تَبَّأ لي أغادرتي كلَّ يوم .. أَثْرُكُنِي هُنَا وأخوض تلك المعارك

اليومية إلى حلبة المكر والخداع والزيف وأردد : صباح الخير /

صباح الطمع / صباح الخبث / صباح الهُراء ...

أيَّ صباح ؟ لماذا طعم البسمة حلو في فمي هذا الصَّبَاح !

لماذا أنا اليوم أجمل ؟ أنا خرافيةُ الحسن هذا اليوم ؟

لما أَتَطَعَمُ كلمة صباح الخير ، أمتصَّها .. لها طعم العسل وطعم

قهوتي الحلو ؟

هبت من فراشها وانتصبت واقفة تعب من النظر في كتبها
وعطورها كمن يغتسل بها وتجمع اللعب كطفل لاه .. نظرتها
غامضة ... صامته لكن فيها مغزى الصمت ...

- تبأ لعقلي .. كم سنة عاشت ذلك الواقع الأسن ... ؟
- عالمي شيق خنته بمصاحبة عالم آخر " لا يسأل فيه المرء عن
كنه الوجود ولا على وجوده " .. مانت تحتضن أشياءها بشوق
وتلهف .. تقبل كل شيء كعاشق مشوق ..
سمعت طرقات خفيفة على بابها ... هي والدتها جاءت
تستحثها للالتحاق بعملها ويمشاغلها ... :

أجابتها قائلة : " صباح الخير .. صباح الصديق يا أمي .. دعيني
أصلي صلاتي لا تنقضي فلا تقتحمي خلوتي
لقد عدت إلى نفسي بعد طلاق !

أعلنت الردة على ذلك العالم .. كفرت بالتيه والخواء .. دعيني
أسافر إلى نفسي أكتحل بمداد قلمي .. أستنزف طاقتي وأزيل
الصديد عن قلبي ... وأتطعم طعم اليقين الذي لا يعرفه من
خلت معابد صدره من تراويل صلاتي >>
... وأغلقت بابها على عالمها المقدس الجديد إلى صلاة لا
تنقضي

يوم في حياة زوربا لم يكتبه كانتزاكيس

قصة : مختار المومني (صفاقس)

*** ملاحظة :**

إذا حدث تشابه بين ما وقع لي من أحداث وبين ما وقع لبعض الناس فلست مسؤولاً عن ذلك .
(التوقيع : زوربا اليوناني)

*** من اعترافات زوربا في خمارة الدب الأزرق .**

هذه المرة سوف لن يكون " كانتزاكيس " هو الراوي لما حدث لي في ذلك المساء الشتائي من واقعة أغرب من الخيال فأنا الحادثة وسأروي ما حدث بكل صدق وأمانة . أعرف أن بعضكم سيقول أنني أبالغ كصديقي المؤلف كانتزاكيس الذي صاحبني في حلي وترحالي في جزيرة " كريت " . وقد تقولون أنني أكذب ، وسيقول البعض الآخر أنني أمزح ومع ذلك سأقص عليكم الحادثة بكل تفاصيلها .

*** وقائع ما جرى في خمارة الدب الأزرق :**

الأصدقاء المقربون فقط هم الذين يعلمون بالقرار المفاجيء الذي اتخذته زوربا منذ الليلة البارحة قراره كم يعلم به غير أصدقائه حتى زوجته نفسها لم تعلم بقراره . لقد أراد أن يفاجأها بعودته ذات مساء باكرا فلقد عزم على انقاذ ما تبقى من نفسه ومن صحته التي هدمها التبغ الرديء والنبذ المعق فجسمه قد ترهل ويطنه قد استدارت وبرزت بشكل مضحك ملقت للأنظار .

وحدهم الأصدقاء المقربون هم الذين يعلمون لماذا عاد زوربا مبكرا إلى منزله

* ما أخبر به زوريا مدير قرية أسكولي

كنت أحت الخطى باتخاذ منزلي .. كانت السماء غائمة .. وكان المطر ينزل رذاذا .. كنت وأنا أشق شوارع « أسكولي » . أمّني نفسي بسهرة عائلية ملؤها الدفء والحنان بين زوجتي " ليوبا " وزوريها الصغير وطفلي زوجتي من زوجها السابق . فأننا لا أذكر آخر مرة سهرت فيها بين أفراد عائلتي .. إذ كنت متعودا على العشاء والسهر والسمر خارج المنزل فأننا ألتقي برفاقي كل ليلة في خسارة الدب الأزرق . والرفاق لا يحلو لهم السهر والسمر إلا وأنا بينهم فهم يقولون أنني صاحب روح مرحة وصاحب دعاية لا سيعا عندما أترنم بأغنيات مقدونيا . في الحقيقة أنا فنان ماهر عندما أعزف على " السانتوري " تلك الآلة الموسيقية العتيقة ذات الأوتار الكثيرة المزينة بشرائط من النحاس والصّاج وشفائر حربية حمراء وخضراء . كان الرذاذ يصفع جلد وجهي عندما طرقت باب المنزل .. وجاء صوت " ليوبا " زوجتي من الداخل خائفا مرتجفا

– من ؟

– أنا زوريا . افتحي

– زوريا من ؟

– زوريا زوجك . افتحي الباب .

– أنت لست زوجي فزوريا لا يعود في مثل هذا الوقت .

وعبثا ظلت أخط على الباب حتى كلت يداي.

عندما استدرت باتجاه الخسارة كنت أعاني من القهر ومن البرد لكنني تحاملت على خيبتني بكل عنفي ومعاناتي ، وقد تملكنتني رغبة مجنونة في أن أحطم أي شيء قريب مني أو في أن أضرب رأسي بالجدار ، ولكن ما يفيدني ذلك ؟ إذا حطمت شيئا وجب على أن أدفع ثمنه وإذا حطمت رأسي تعين علي أن أذهب إلى الصيدلية لتضميده .

* إفادة

– قال زوريا : لو فتحت زوجتي الباب ليلتها لأقلعت عن السهر والمجون خارج المنزل ولتبت عن معاورة النبيذ .

– قال الأصدقاء

لو فتحت زوجة زوريا الباب لزوجها لخسرنا نديما عزيزا علينا وعازفا ماهرا على آلة السانتوري

– قالت ليوبيا

عندما لم أفتح الباب كنت على صواب ومع ذلك أذنبت في حق زوريا .

– قال كانتزاكيس

أعتقد أن زوريا قد افعلت هذه الحادثة واختلقها لأنه كان يريد أن يتحدث عنه الناس ويتندرون بأخباره .



* ايضاحات

– زوريا - ليوبيا شخصيات ورد ذكرها في رواية " زوريا اليوناني " للكاتب العالمي " كانتزاكيس "

– جزيرة كريت جزيرة يونانية .

المطاردة

بقلم : عادل عبد القوي

معهد ابن خلدون الكاف

المدينة تطوي شوارعها المثلثة ... تطفئ كل مسامها المعدنية المتلاثة وتصدر صفيرا أو زفيرا تتلمظ له شفاء السكارى ... القطط اللقطة تخذش بموانها خد الشفق فيسيل منه دم أرجواني عديم الطعم ... النعال العسكرية المثقلة بالإنضباط تنزلق على الإسفلت المتماوت منذ زمن بعيد ، ثم تختفي في الضباب ... الفوانيس القليلة دسّت رؤوسها تتعشّق حلماً شتوياً قديماً ، بين أوراق شجيرات غريبة .. لشارع ما زال طويلاً أمامه يتلوى كالرقطاء اللعوب ... كان ظلّه ممتداً كمنارة الميناء ، مظلماً يتكسر كالحقيقة على الجدران التي انفتحت شقوقها عهراً ، والأبواب الخشبية القذرة ... شعر ظلّه يطارده منذ وقت بعيد ... بل إنه يعو معه وأمامه وخلفه ... هذا اللعين سيفضحني ...

انعطف يمينا فواجهته الأزقة الأخيرة كجرح يشقّ المدينة العتيقة ... مناخذ عتيقة عليها الغول المطبوخ وأخرى البيض المسلوق وأخرى ... وأخرى ... والادميون يتهافتون ... أحسّ بالإطمئنان وهو يمرّ بالقطط المتناثرة على الأرض على طول " الساباط " بعضها اهترأ فروها فجوراً ، وبعضها الآخر دقّ عنقه في أكوام الفضلات والأشياء المتروكة ... كانت الروائح الكريهة تنهش رثتيه . فيرفع رأسه يريد أن يستمطر هواء بارداً من فجوات " الساباط " التي تفتح على سماء مغيمة ، ورذاذ فاتر حزين يخلصه من هذا الاختناق ..

شيء ما كان يدفعه إلى حثّ الخطى ... هذا المعنى المظلم القذر كأمعاء هذه القطط السقيعية لا يريد أن ينقطع ... عليّ أن أدرك الحانة ... بدأ له أن ظلّه

تطاول هذه المرة ... حتى أنه أحسَّ بثقله ، كان كمن يجرُّ وراءه شيئاً ... تكاسل
أيها اللعين ... تتأقل ... لن تفضحني .. لن يدركني فجر المدينة الآبقة .. سانسلخ
عك سانسلخ جلدي إن أردت ... لن تبقى معي فأنت فاضح مقضوح ...

عندما وقف أمام عتبة الحانة كان الدخان والصراخ والسعال والسهباب يتماوت
عند حذائه العسكري ... دلف إلى الداخل وألقى بقية جسده على كرسيه هناك ..
لا أحد يعرفك الآن في هذا المكان ... كلهم مثلك .. أو كانوا مثلك ... العيون فقط
هي التي رآته .. كانت موبوءة مسكونة بالحمى ... ومع ذلك لا أحد ينظر إليك أو
يتهمك .. أنا فقط أنظر إليهم .. كانوا كالذباب يسكر من الجوع والجماع والأوساخ
والقيظ ... لم أت هنا لأكون مثلهم ، بل جئت لأدفن نفسي في هذه الجروح
الطحليبة المفتوحة أبداً ، كيما تخرج صرختي من صرختهم ... ولا شامت ... إذا
أرادوا أن يعسكوا بي .. فليأتوا إلى هنا .. لن أخرج إليهم هذا أشرف لي ... نعم
أنا فعلت ذلك .. أنا قاتل ذلك الفاجر ، يستحق أكثر من هذا ... فجأة رأى ظلّه
أمامه ... ربما سمعني .. سمع اعترافاتي ... دار يبحث عنه تحت كرسيه .. نظّر
تحت قدميه ... سأسلك بك أيها التلّ العاهر .. سأجعلك تسكر مرتين ... لقد جئت
فخّدتُ ، وإذا أنت متقوقع أمامي كالخائف .. أخرج إليّ لأسحقك بحدائسي
العسكري .. أحسّ بدوار يجول في رأسه .. وصراخ وخيالات غريبة ... صار الظلّ
ظلالاً بلا نهاية ، والشاهد شهوداً داروا حولّه وضجّوا كالقضببان ... رياه أنا
لم أشرب شيئاً فكيف سكرت ؟ صرْتُ مثلهم ... مدّ يديه يتحسّس بهما الظلّ ...
فإذا هو شيء كاللحم الآدمي طويل أمامه ... ورأى حذاء عسكرياً يلسع تحت
الفوانيس المعلقة ... انهذتُ أمامه الأطياف ... وتمزّقت من الخاطرة عشر سنوات ...
ظليّ شاهد على ما فعلتُ ... أنا قتلتك بيديّ هاتين .. النعال العسكرية والظلال
المتماوجة قد سدّت عليه فكره الهارب ... سوى بعض ثقوب تتسلّل منها عيون
السكاري المحمومة ... كان وحده الشاهد على نفسه في ذلك المكان ...

أغنية وداع متصدعة

بقلم : زمردة دلهمي

* الإهداء : إلى الذي علمني أن السماح سبيل الإنتقام إلى أخي
الاستاذ ناجي الدلهمي " سلطنة عمان "

ينزل المطر حزيناً ترقص لوقعه أزقة العدم وتناجيه أمسيات الإنتهاء ... يحتد
السكون يمتلئ القلب شجا نا ... ينتحر العالم من حولها إنه الشتاء يدخل المدينة
وفي جرابه تسكن الأوجاع ومن ليلالي يتضوع المطر رحيقاً يطفئ على بذور اليأس
ويقلق الأعوام داخل نفسها .

هذا الشتاء يقتحم حصون مملكتها ليعلم أن الشوق إليه يمزقها تتواصل رهمة
المطر في سكون تحسّ القلق يلفها لا صوتاً يناديها ولا طيفاً تلمسه تختفي كل
الوجوه من حولها تتساقط المضامير الدقائق إختراقاً تنتظر إلى يدها في حركة
رعشاء راجفة تحرق في الساعة التي إحتلت معظمها الرشيقة .

الثواني تمر والقلق يزداد والإنتظار متواصل .. يضم جوانبها الصمت ، ترفع
وجهها إلى السماء ، نسمات ندية تداعب وجنتيها وأفق المدينة يخنقه الضباب .. يحتد
الوجع داخل أنفاسها تاكل ضجرتها وتبتلع انزعاجها في هدوء تعود إلى الساعة
ترمقها شزراً تمتد لو كانت يدها فارغة لأعفتها عناء السؤال وسوء محضر الزمن
البارد ! يتبلل شعرها المنسدل في تمرد شرس يضفي عليه المطر لمعاناً طاغياً ..
تتلج أصابع يدها تحت قفازاتها السوداء .. يصرخ الذعر من وراء السجّون
القائمة .. تلتفت إلى الطريق فتراه نائماً ممتداً كالحا بوتترائي لها الأعمدة جنوداً
أغبياء ويرتسم هذا الطريق الموحل كنيبا ، يتناوبا شعور بالخوف ، يتصاعد الشوق
لديها يلاحقها أمل بأنه سيأتي سيأتي ليمحو غناء العيب وصغير الشقاء الموجه
وليالي الأرق المنفردة ... سيلفي كل سراديب العوسج من جنة قلعته المزهرة ويزرع

السوسن ويمنحها تاج عشق أزلي ... ويأمرها بالرحيل

تقدمت متثاقلة في اتجاه ، البحر الشاطئ يثور والموج يتصارع في جنون والزيد يرقص على الرمل في تلاعب ينتظر عودة الموج ليقذف به إلى العباب . نظرت إليه في عمق عليل فاحسنت به مثقلا بالهموم أحبطته المآسي وأحزنته دموع العذارى وجراح الأشقياء .. تمننت لو كان حبيبها المنتظر زبداً فيقذف به الموج عند قدميها لتلقطه برفق كالصدف الجميل وتتحلى به عندما يأتي المساء ، ينعش الماء أطراف قدميها ينجذب التراب من تحتها ، تحس بالوار يطوقها ، الألم يسأبها .. تتشكل الظنون في رأسها وتفيض عيناها دمعاً يذيب المقلّ ، يزحف الإنتهاء ليحتل كل ذرة في كيانها ، ينتابها الدهول ، ترتخي قدماها ، تنهوى ، تتلاشى ، ثم تسقط على ركبتيها يغمرها الماء ، تمسك بالوحل بين راحتيها ، تقبض عليه بكل قوة ، تسحقه بين أصابعها ثم تصرخ تصرخ :

« أيها البحر ما الذي فعلتُ بنفسي ؟ »

يتألم البحر للفتنة التي ألمت بها ولا يملك إلا أن يحتوي شكواها ويغسل البحر للفتنة التي ألمت بها ولا يملك إلا أن يحتوي شكواها ويغسل الدمع من مقلتيها ويهدئها الصبر الجميل وما هو رجوع صدى الأمواج يداعب سمعها معزوفة شجن مذبذبة تبحث عن يناجيها - « طلسم الألامك بنيتي عذاب سرمد لا ينتهي ... »

يتواصل المطر صيرورة دمع لا تنبلي ينقر الإحساس لديها ويخربش بحور المأساة داخلها .

تقف منهكة فائرة القوى تنتفض من الرمل الذي إلصق بها ، تحمل حذاء ها بين يديها ويحملها الطريق إلى منتهى العذاب والحيرة والخوف تعود تائهة وقد أهملتها الأقدار وسقتها الأنواء ترياق الموت البطيء .

كان المساء ثقيلا بحجم الملل الذي يعاني وحدتها والدجى ينذر بالنزول والبرد يصقعا تبتلعها المسافات وتلفضها الثنايا ، تجر أذيال خيبتها وراءها تترائى لها كل الأشياء أطياف موت تعزف سمفونية العذاب الموحشة تدخل غرفتها مطرقة غيـر

مبالية تغلق الباب بعنف تنظر إلى وجهها في المرأة تجده غريباً شاحباً ... عيناها مرهء من فرط البكاء ، ثيابها تقطر ماءً وقلبها يقطر ألماً .

تذكرت وجهه بكل دقة فأحست به يقفز كالحلم الجميل ويخترق سجوف وحدتها المملة يحمل شوق الصبا وجنون المستحيل تذكرت أول يوم رأيته كانت تمر كل صباح من نفس الطريق الذي يسلكه لتلقي الدروس على طلبتها الصغار، كان يحترمها وكانت تخافه في هيأته ومشيته القلغ كانت تعجبه تروق له وتضحكه في سيرها وسط حلقة من الصغار في اتجاه المدرسة لكنه لا يجرق على التقدم ليسألها الانتباه إليه ، ظل الطريق يجمعهما غريبان يبحثان عن الدفء المفقود في صمت متبادل وشعور ممتاز بالإعجاب والإكبار وبعضاً من التردد والخجل، يتابعها بعينه ثم يمضي ... كانت تحس به وتتجاهل ذلك عمداً لكي تزيد شوقه توقداً ولهيبه انصهاراً .. كانت كل يوم تستعد لموعد مجهول مع رجل يجيد لغة النطق الأخرس وكانت القطرة التي أفاضت الكأس إذ طفح الكيل وبلغ الشوق حدّ المنام ولم يعد يطيق صبراً فقرر هذه المرة أن يوقفها ليعترف لها بهزيمته وليقر لها بضعفه أمام عينها وقد كانت براءة لك العيون تفتال قلبه وتحمله طغلاً بيكيه ليل الشتاء فيقف أمامها مشدوهاً صاغراً ليس بوسعه أن يحرك ساكناً . يبادرها بالحديث لينكشف الأمر بينهما ويكون اللقاء ، تغني الطيور ربيع الوجد بينهما بيد البدر أمسياتهما الحاملة ويختزل المرور إليهما ويأتي الحب كاشفاً عن كنهه معلناً سيادته مقررأ عهد الأمان . ويقرر ما كانت تحبه كانت تخاف مهمته إذ أنه كان مهدداً بشبح الموت يطل عليه من شرفات فرحته ويطارده ليقض مضجعه وكانت الحرب قرناً كحبهما ونار القتال تضطرم في السماء وألغام الغضب تزرع في طريق أمنيتهما المنتظرة كان الخوف يمزقها والذعر يصرخ داخل قلعتها الأمانة كانت المعادلة صعبة الموازين لا تستقيم << والأمنية إذا ما تحققت تستحيل إلى عدم >> . وقارب الفرح يلوح شراعه من العباب حاملاً في عمقه حلم الهوى وأمنيات العشق المزهرة فهل يتحقق حلمها ذاك ؟ وتلتقيه كل يوم على الطريق المنتظر وأمام الباب العتيق المتآكل

يعد الدقائق حتى المجيء، وينثر الخريف لحن الغروب القاتل وأهزوجة الخوف المذهلة ويمطر الشتاء ، تستيقظ بها الذكرى وتقنع أن موعد الحيرة قد حان تنكس بثقل على ساعديها تبكي من شدة الضيق كما لم تبك في حياتها أبداً يروعها الألم فتمزق كل الأوراق من حولها بتعثر الصور تنظر إلى وجهها في المرأة من جديد يكتنفها الإنهيار وتمضغها التساؤلات وتعبث بها الهواجس كان أول مرة يعدها ولا يأتي كان من الممكن أن تعتبر غيابه هذا المساء تأخراً لأمر طارئ جدّ لديه وداخل نفسها تحاول أن تفهم ما يحدث بين السطور غير أن صوتاً مزعجاً ظل يصرخ ويعتصر قتامة ويشعل ذاكرتها أمواجاً من الشك يجعلها تتأرجح تحت كللك الخيبة والإنكسار ، تفتح بلور شرفتها وتقف لحظة تنعزل عن العالم وتختلي بالمطر .

- أيها المطر أين هو ؟ كانت تساؤلاتها تتهاطل دمعاً مخضلاً والجواب مفقود نظرت إلى يدها كان خاتمها الذي أهدها إياها يلمع غيرة مترققة بين الجفون كانت تسود لو نطق فساتنه ، ويعود الصوت الفضيع يلح عليها ويقنعها بكل ثقة أن الإنتصار له كانت تنتظره يأتي فينزع عنها عقال الخوف الذي يكبل نفسها إنتظرت كثيراً هذا المساء ولم يأت ، استمرت ليلة كاملة يحتضنها الأزق وتضافحها الظنون وأطل فجر ذلك اليوم الذي إنتظرتة ، إستيقظت من الفراش مسرعة الساعة تدق على جدار غرفتها إنه وقت اللقاء إرتدت ملابسها وخرجت يحملها بساط اللهفة واستوقفتها أمها :

- أي بنيتي محفظتك أين هي ؟

- لا درس بعد الآن أمي »

هكذا تمتعت وراحت سائرة والطلل ينهار داخلها .

تحتدم الأسئلة تحاصرها الظنون فتزيد في سيرها عليها تحطم أصفاد الحيرة المطبقة على نفسها .

أتمنى لو ألقاه أه لو ألقاه لعاتبته لا أبداً سأحضنه الدهر كله لعن الله الحروب كم أكره الحروب كم أكرهها ... لن تأخذك مني لن تتركني أبداً ... وتظل بين مدّ

الحلم وجزر اليأس فلئلا بلا شرع .

هنا مكان اللقاء ذاك هو الباب ... متصدع لم تتغير هنا كان ينتظرني بلا ملل
لكنني كرهت الإنتظار

لم يأت اليوم وتزداد الحيرة والخوف وينطبق الأفق من حولها ويتشوش السكون
في قلبها الخاوي ، تنالت الأيام بطيئة لمشية عجوز ضريير وطال صمتها وانتظارها
وبدأت شموع الأمل تنتطفئ تباعاً داخل كيائها وصار اليأس يطرق بابها يحاصرها
الفشل والشك من كل جهة تمر كل الوجوه كالأشباح ماشية من أمامها تتسفع
الأعين فلا تدرك السبيل إليه تترقب يوم فرح يلوح بالمجيبىء وما زال لا يأتي . تسير
منقبضة تنهر الخوف وتتحدى اليأس لكنها تجد نفسها في كل مرة تدور في نفس
المكان يطعم قلبها مرارة الفراق أي فراق هو كان وداعه فقيرا لا يليق بالكلمات ولا
حتى بالجراح المشخنة لقد أنسحب من حياتها بكل صمت وسكون تاركاً وراءه حزن
العالم يثقل الوجدان ويرسم تاريخاً من العدم وعالمنا من السراب كانت تنتظره كل
يوم عند الباب العتيق كان متاكل الأطراف مثقوب الزوايا مشقق اللوح يتخلله المطر
والتراب جدرانه باردة اللون تحيل إلى الإصفرار مقبلة ، يفوقه الصدا وكل ما فيه
يوحى لك أنه باب مقبرة لم يفتح منذ قرون ..

إنتظرت عند الباب أياماً وشهوراً ، إشتاقت إليه واستبد الشوق كثيرا أصبح لهفة
ثم صار لوعة واشتعل رغبة ملحّة وشيئا أكيدا ودقت نواقيس النوى واقتنعت أن
الزمن يسخر منها ومن قلبها الكسير طوقها اليأس وأغرقها في مهرجان من الحزن
المذيب ليبتها ما كانت ولا كان اللقاء تمر كل يوم وحلم اللقاء يراودها جس الموعد
يسكنها وكان الباب يستوقفها ترمقه ولم تكن تدري أن نهاية قصتها معه ستكون
تعيسة سوداء ، لم تكن تدري أن الدمع من عينها سينتهي وإن تجد بعد عزاء ينزف
الجرح لا يسكن الألم ولا يهدأ ، لا تريد أن تقنع نفسها بأن ذلك الرجل الذي أحبت
ماضى وراح من يدها .

ولاح الأمل من بعيد ودقت ساعة الانفراج وفتح الباب السحري التعيس فتح بعناء

وأثار فتحه صوتاً مزعجاً أقلق أذنيها وقد كانت تتوقع أنه لا يروم لبناً ، خرجت من سيدة غريبة لم ترها أبداً من قبل ، كانت المرأة باشة على جمالها الخفي يسكن الألم تقاسيم وجهها وقد أبليت السنون كانت هذه الغريبة تحمل بين يديها ورقة يبدو أنها كانت بيضاء والمطر قد ألحق بها ضرراً فتغير لونها وأصبح بلون الجر المكتوب عليها سيان في البلاء والباب العتيق .

نظرت إليها بعمق تأملت وجهها فإذا بالمرأة تقذف في وجهها سيلاً من الأسئلة المتواترة . تتكثف دوائر الإستفهام حولها لقد أحست المرأة أن هذه هي الفتاة التي تبحث عنها شهوراً لتحمل إليها رسالة تركت لها منذ شهور وكانت مهمتها أن توصلها إليها تبحث عنها ولم تدرك السبيل إليها فسئمت السؤال عنها وعادت ودخلها أمل « بأنها ستدركها يوماً ، وما هو الأمل يتجسد أمامها كانت المرأة تلبس ثوب حداد كأنها فقدت عزيزاً وظلت تتحدث إليها في حزن مزيب مواسية مربية على كتفها تخفف عنها حملها الثقيل وهي لا تدري عن تتحدث ، أحست من نبرات صوتها المتقطع أنها تخفي شيئاً يصعب البوح به ألققتها طريقة الحديث معها صرخت في وجهها بعنف :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

– « عن تحدثين ؟ من تقصدين بقولك كان عظيماً ، وانتهى واختطفه القدر كزهر الشفاء الينع ؟ من الذي ترك الحزن يطوق المكان من الذي سافر يحمل نفسه أمنية الرجوع للفرح فإذا به يعود ساكناً متمدداً كئوراق الخريف على الأرضفة الموحلة ، أرجوك إرحمي حيرتي وأسكتي صراخ القلق واخمدى نار الضنى التي تشعل صدري .

نظرت إليها المرأة بعمق أجمع القلق والتوتر ثم قالت في هدوء :

– « أتحدث عنه ! عن الذي ملك قلبك واحتل مملكتك وأرهق فكرك وشوش دوايبك وحدتك عن الغريب الذي اقتحم حصونك وأحالك غريبة عن نفسك وعن العالم وأنت لا تدري الطريق إليه ، عن الذي خرج من حياتك بكل صمت وهدوء تاركاً وراءه ليلاً ممتداً على أطراف واحتك الهادئة بعد أن سرق البسمة من شفتيك والفرح من

خاطرك وعبير الأشواق المشتعلة عن الذي انتظرت ذات مساء مثقلة بالعشق والحنين لكنه لم يأت وقد بحثت عنه في كل الأيام التي مرت مسطرة ..

لقد انسحب من بين طيات الزمن رافعاً قلبه يخفق حباً إليك لقد ترك لك هذه الورقة وطلب مني أن أبحث عنك لأعطيها لك لكنني لم أجده لقد أرسل في ذلك اليوم الذي كان من المفروض أن تتقابلا فيه غير أن القدر أخرس نداء الحياة داخل نفسه رافضاً بسمته الحائرة راسماً على قبره أغنية الوداع المقررة لقد حكم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص !! مات حبيبك يا أنت ولم تينع حياته بعد عطاءاً إقتطفته الأيام من بين زوارق الفارقة لتنتخبك وريثة الشقاء من بعده ... >> .

تتهدد ذكراه في نفسها أي صدمة تلقتها أحست بالنار تضطرم في قلبها تتلاعب الأشياء أمامها في عبث ... يحيط بها الفشل والضياع تشعر باليأس يارفعها تترنح كمخمور أصابه داء السلاف من هول الحدث لقد نكا الجرح بعد التدوي أي ذنب اجتريحت في حق نفسها كانت تنتظر كل شيء إلا أن تتلقى هذه الحقيقة يصنعها الشقاء من جديد يمسك بالورقة بين يدها المرتعشة والصاعقة لونها وجهها بالسواد .. تركزت عينها المغرورة على الباب الحزين فالقته ممزقا غريباً . يحتضنها الطريق الخالي ، تسير متثاقلة محملة بالبؤس والخوف والخواء تتحول كل الأصوات من حولها ذئاباً عاوية ... حدثت في الورقة لم تستطع قراءتها ، ركزت مليا في السطور المحاة وجدت في أسفل الورقة بصعوبة كلمات قرأتها >> اعلمي أنني أحبك كثيرا >> ثم الإمضاء !!

سافرت في شرك الأسى وطيور المناحة تحلق فوق رؤوسها لتفسح المجال لطريق الدمع وقصائد الرثاء الصاخبة ، هذه الورقة يحوها المطر وهذا الزمان يحسي اسمه من خارطة البقاء لقد اكتمل السراب من حولها وتمزقت أوراق سفرها ودخلت عالم الحزن من بابه العريض دون إستئذان

رِسَالَةُ عِشْقٍ إِلَى مُعَلِّمَةٍ

إِهْدَاءُ أَوَّلٍ : إِلَيْهَا طِفْلةٌ تَعْلَمُ الْأَطْفَالَ الْبَرَامَةَ وَالْيَقِينَ
إِهْدَاءُ آخَرٍ : إِلَيْهَا طِفْلةٌ مُشَاكِسَةٌ تَعْلَمُنِي فِي الْحُبِّ حُبَّ النَّوَى ...

... وَأُضْنَانِي الدَّهْرُ سَيِّدَتِي وَأَرْهَقُنِي الْبَحْثُ فِي دَفَاتِرِ عِشْقِي عَنْ إِمْرَأَةٍ أَتَوَقَّفُ
عِنْدَهَا الْوَقْفَةَ الْأَخِيرَةَ وَتَوَقَّفُ أَخِيرًا فِي شَرَايِينِي التَّزْيِيفِ وَتَوَقَّفُ إِحْتِرَاقَ أَعْصَابِي
وَإِسْتِهْلَاكَ مَا تَبَقِيَ بِدَاخِلِي مِنْ نَجِيعٍ .
تَعَبْتُ سَيِّدَتِي مِنْ طَوْلِ تَرْحَالِي وَمِنْ سَفَرِي الطَّوِيلِ ...
تَعَبْتُ مِنْ زَمَنِي وَنَفْسِي وَمِنْ صُورَةِ الْأُنْثَى الَّتِي أَشْبِلُ فِي الْبَالِ حُلْمًا يَكْبُرُ مِنْذُ
الطُّفُولَةِ كَالْحَنِينِ ...

تَعَبْتُ صَدِيقَتِي لَمَّا جُنْتُ طِفْلَةً حَقَلَ الْعِلْمُ فِيهَا طِفْولَتَهَا وَكَبُرَ فِيهَا بَرَاءَتُهَا فَاِسْتَحَالَتْ
إِلَى دَهْشَةٍ وَالدَّهْشَةُ أَحْيَانًا فِلَسْفَةُ عِشْقٍ رَائِعَةٍ ...

فَمَنْ أَيْنَ جُنْتُ صَدِيقَتِي فِي هَذَا الزَّمَانِ الْفُظِّ وَكَيْفَ فِي هَذَا الزَّمَنِ الْغَلِيظِ ... ؟
مَنْ أَيْنَ بَزَغَتْ صَدِيقَتِي زَهْرَةً تَتَنَعَّ بَيْنَ مَفَاصِلِ صَخْرٍ أَصَمٍّ وَفِي أَدْغَالِ عَصْرِ حَالِكٍ
لَا يَنْبُتُ غَيْرَ أَشْوَكَ وَعُوسَجٍ ... ؟

مَنْ أَيْنَ جُنْتُ فِي عَصْرِ لَوْ بَعَثَ اللَّهُ فِيهِ الْمَلَائِكَةَ لَضَلَّتْ عَنِ السَّبِيلِ وَعَمَّهَا الْكُفْرُ
وَالْكُفْرُ فِي زَمَنِي عِبَادَةٌ .

مَنْ أَيْنَ وَكَيْفَ إِذَنْ جُنْتُ ... ؟

أصديقتي :

أشعر أحيانا وأنا أتحدث لك أنني أحادث نفسي بصدق وأني أحاور طفلا لا زال يبحث في زوايا طفولته عن زور الكبار ويهتاتهم ...

حين أتحدث لك أشعر أنك أكبر من هذا الزمان وأن الزمان بمن فيه أصغر من أصغرك ...

أشعر أنك تأخذين من حسن يوسف وبهائه فأبكي لمقعد دراسي تتركه وتنصرفين للأجيال لتعليمها أسرار الطفولة وأسرار البراءة .

أتحدث لك فأفكر للأطفال كيف سيكبرون في أحضان طفلة تعلمهم أصول طفولتهم وأصول اللغة والبلاغة واللسان وتلقنهم أساليب الإنشاء ، كيف ينشؤون أمة بلا قبائل متناحرة وبلا حقد أعمى لم يخلف لنا سوى حرب الأربعين عاما وحرب العمائم والعصابات المتطرفة ... علمي القبائل كيف عليها أن تتخلى عن مخالبتها وعن وهم الشرف الذي أضحى بلا شرف وكيف عليها أن تتأثر من حكاية الثائر الذي لم نثار به إلا لانفعالاتنا وحققتنا ونزاولنا ولذتنا وجلّ شهاؤنا .

علمي القبائل كيف عليها أن تنسى تشريدنا وتنسى تعصّبها الأعمى وإقامة الحدود بالقش والتبن وبالقنّاد ...

يا سيّدتى : علمي الأجيال كيف حين يكبرون يكونون أوسع صدرا وأجمل صبورا وأوضح حبرا عند كتابة دساتير مدينتهم .

علمهم في اللغة - حبيبتى - لغة العصافير الجميلة والحرّة ولغة الطفل الذي يظلّ محافظا على طفولته وإن كبر يحبّ بلا مكر ولا كبر ولا مكابرة ويكره بلا خوف ولا إخفاء . يذلل معاداته ويظلّ يزرع الأزهار حتّى في فصل الأشواك وفي مواسم العوسج والصبّار ...

علمينا سيّدتى الجميلة كيف علينا أن نكبر في وجه زمن صغير وأصغر من إرادتنا وكيف علينا أن نكبر لثورتنا ونعلن رفضنا وتعرّدنا وكيف علينا أن لا نستمع إلا لإنسانياتنا ...

عَلِّمِينَا أَيْتَهَا الْإِنْسَانَةَ كَيْفَ نَسْتَعِيدُ إِنْسَانِيَّتَنَا فِي هَذَا الزَّمَنِ الْإِنْسَانِي وَيَلَا
 أَحَاسِيسَ وَيَلَا ضَمِيرَ ... عَلِّمِينَا فِي النَّحْوِ عَلَى أَيْ نَحْوِ نَحْوِي أَحَاسِيسَنَا وَنَحْمِيهَا
 مِنَ الْمَهَانَةِ وَالذِّلِّ وَكَيْفَ نَعْرَبُ عَنْ جُمْلَةِ أَفْكَارِنَا بِلَا انْحِيَاظٍ وَلَا تَطَرُّفٍ الصَّمَّ لَا
 يَسْتَمَعُ لَغَيْرِ عِدَائِيَّتِنَا وَكَيْفَ يَكُونُ فَعْلُنَا مَفْعُولًا لِأَجْلِ الْغَيْرِ مَصْدَرُهُ الضَّمِيرُ لَيْسَ
 مُسْتَتْرَا وَلَا غَائِبًا وَلَيْسَتْ تَحْكُمُهُ الْآثَا وَكَيْفَ يَكُونُ فَاعِلُنَا مَرْفُوعًا عَنِ النَّزَوَاتِ
 وَانْفِعَالَاتِ الْآثَامِ فَلَا يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِغَيْرِ شَوْرَتِهِمْ وَيَتَّقِي اللَّهَ فِيهِمْ
 فَيَنْصَبُ حَالَهُمْ وَيُسِّرُ أَمْرَهُمْ وَيَأْمُرُ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ وَيَنْهِي بِإِلَامِ النِّهْيِ فِيهِمْ عَنِ
 الْفَحْشَاءِ .

عَلِّمِينَا سِيدِي فِي الْإِلْسَانِيَّةِ كَيْفَ نَعِيدُ لِّلْسَانَ الْعَرَبِ طِلَاقَتَهُ وَنَعِيدُ الْأَحْرَفَ أَبْجَدِيَّتَهَا
 الْأَصِيلَةَ وَنَثْبِتُ عَلَيْهَا نِقَاطَهَا فَقَدْ تَشَابَكْتَ النِّقَاطُ عَلَى الْحُرُوفِ فَصَارَ الْعَرَبُ غَرِيًّا .



وَصَارَ الظِّلُّ ذَلَا
 وَصَارَ الْحَبِّ حَبًّا
 وَصَارَ الشَّمْسُ شَمْسًا
 وَصَارَ السَّرُّ جَهْرًا
 وَصَارَ الْجَهْرُ عَهْرًا
 وَصَارَ الْعَهْرُ عَصْرًا
 وَصَارَ الْعَصْرُ عَهْدًا
 وَصَارَ الْعَهْدُ تَقْوَانًا
 وَتَقْوَانًا قَذَارَةً
 وَسَرْنَا بِإِذْنِ اللَّهِ أَمْوَاتًا
 وَأَسْدَلَتِ السُّتَارَةَ .

الإنسان في الأدب المغربي : الموجود والمنشود

بقلم : بلهوان الحمدي

« إن استقراء الفنون والآداب يثبت أن الشعوب الفاعلة والأمم الكبرى ما هي إلا تجسيم تنبؤات كبار المثقفين والفنانين » مقولة رئاسية فذة تغضي إلى وعي حيوي Vital يدور الثقافة والفكر في أمة ترنو إلى عصرها . فالفن والفنان بمفهومهما العميقين طليعة المجتمع ويصيرتها التي لا يبصر بدونها .

في المنستير كانت لي فرصة لا تجود بها الأيام كل يوم : أن تلتقي الروائي الجزائري « واسيني الأعرج » الملتحي كائنه « نيرودا » عشية الانقلاب الدموي على أحرار سلفنور وزالندي « في شبلي 73 . وتستمتع إلى الشاعر الكبير الشيخ العاشق « خليفة محمد التليسي » وتستحضر الفقيه محمد البقلوطي بأعجوبة ...

إن الأدب في في جوهرة رؤيا والرؤيا نفاذ في أعماق الواقع اليومي يستشرف ما تؤول إليه تحولات الإنسان .

السؤال المركزي في الملتقى : أدب التسعينيات لا التسعينات هو الإنسان الذي ما عاد مركز الكون وصار شيئا يكاد يكون منسيا .

سيختصر الكلام ويختزل حول ما دار خلال اليوم الأول في الجلسة الأولى وخصصت للرواية (1) وفي المساء حيث انهزم الشعر (2) طوال الليل مدّة 300 دقيقة بجمالها وحزنها لكنّ المتعة المتفردة واللذة استوعبتا النشاز اليسير في بعض القصائد حتى ما سيتيسر منها على حدّ تعبيرة الأستاذ محمد البودي

(1) الرواية :

في الجلسة الأولى التي ترأسها الأستاذ عبد الرحمان تنكول من المغرب وكان مقررها الأستاذ أحمد الحذيري تحدث الروائي الجزائري « واسيني الأعرج » عن الإنسان في الرواية المغاربية معتمدا عينات من الإبداع القصصي الجزائري والتونسي وتجربته الذاتية بخصوصيتها الدراماتيكية فكانت ملاحظاته كما يلي وأستلته حارقة مربكة :

* حول إسمه « واسيني » قال : « كنت مضاد لإسمي بل كنت متشائما »

* هل يكفي أن نواسي الأدب المغاربي ؟

* إن أصدق صورة للإنسان المغاربي هي الصورة الأدبية فهي اللحظة الصوفية المركزية الأكثر صدقا مع الذات .

* الآمال تتضائل لهذا الإنسان والخييات لإنكسارات تتضاعف

* هل استطاع الإنسان المغاربي إقناع نفسه بمشروع الحداثة مثلما ضحّ في

الخمسينات من أجل مشروع الإستقلال الوطني ؟

* لماذا بعد خمسين سنة نحن متخلفون نكرر نفس الأسئلة الطفولية ؟ أية حداثة

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

ننشد وأية أصالة نريد ؟

إن المبدع الفنان « واسيني الأعرج » يغوص في الظاهرة المحيرة للإنسان

المغاربي فالرواية كما يصرّح « لا تقدم أملا بل إنكسارا والحيرة ليست فقط

وجودية فلسفية بل بدئية تشكل في ماهيته الاعتبارية كإنسان . ويرجع الأمور

لغياب الرّموز Reperes وكُم هائل متداخل من الفجوات والرخاوة ومسحا

لديمقراطية والحداثة . لذلك لا نحمل الغرب خيباتنا وعن الوضع الراهن للعتقف

الجزائري قال : « اليوم يعود أولا يعود » والعودة هنا عودة مادية إلى بيته . إنّه

مستهدف في جسده قبل عقله .

لكن « واسيني » يردف أن « الكاتب تهور أي وقوف ضدّ الثباتيّة

والسكون » إنّه لا يكتب كي يموت بشكل سخيّف بل « ليعيش ويكرّس قناعاته »

فالزمن القادم يحتاج لونا كشوت أو كفا عريين .

2) الشعراء : تتنوع الأشكال ووحدة الأفاق كانت ليلة لا ككل الليالي

جمعت مشارب فكرية واتجاهات فنية وأجيال متباعدة ، وكان الأستاذ محمد البدوي ينشط ويدير هذا الكرنفال الفسيفسائي بقدرة فائقة وروح من الود عالية .

وهنا لابد أن أشير أنني إنتقائي والأمر يكاد يكون بديهيها . فقد حاولت أن أتابع أهم الشعراء والمدارس وهمي الوحيد جميل الشعر وأعذبه .

* خليفة محمد التليسي : وهو شاعر ومؤرخ وناقد ليبي . شامخ وشاب على الدوام برغم الثمانية عقود من الزمن ومتواضع في ألق العارفين .

قال : « أنا من الغواة الذين يجرون وراء الشعراء »

وأقر الشاعر أن العربي سقط بعد أن انفصل عن إعجازه الشعري . تحدث عن فوز صاحبة العباس بن الأحنف وجنان صاحبة أبي نواس .

شدأ التليسي قصيدتين فيهما عشق وحبون Finesse على حد تعبيره : المتكبرة غزلية فيها من المتنبي والبحتري ، إذا يقول فيها « وَبِقِيَمَةِ الْوَرْدِ شَيْءٌ عِنْدَ رَأْيِهِ » .

أما القصيدة الثانية وقد عنوانها هكذا « المجانين : استدعاء لحضارة العشاق » وهي مطولة في سلوى الحببية وسهاد الجوى « لكن هو الحب قد أملته عيناها »

لينتهي مجنوننا ينشد مجنونة : كلَّ الْمَجَانِينِ مِنْ قَائِلِينَ الْمَجَانِينِ مِنْكُمْ نُحْيِي ذِكْرَهَا .

إن شاعرا بهذا الإحساس الرهيف وإيمانه العميق بالإنسان العشاق فهو حالة استثنائية في زمن ساد فيه الخراب في البيت والبيت . هل كدنا نفقد البيتين معا :

الشعرُ والشعرُ ؟!

* عذاب الركابي : وهو شاعر وجامعي عراقي مقيم في الجماهيرية الليبية . قدم لقوله الشعري ينص قصير مهدى إلى تونس ، جاء فيه :

أسميتها امرأة

فأهدتني التوارس موطننا من المطر

وأيُّك وبرتقال

والشعر عنده خراب و « قولي كيف نما شجراك حزان » فعذابه هو عذابنا نحن جميعا و « قبل كل خراب ويعد كل خراب هناك خراب ، هناك القصيدة » * الحبيب الزناد : الشاعر التونسي صاحب « المجزوم بلم » و « كيمياء الألوان » . هو من طلائع السبعينات المجددين في بنية النص الشعري لغة وروحا . كان ليلتها جليلا . بسمرته الفاترة وشعره الرمادي . لم أعجب برجل مثله يتلو « السياب » ويقول « يا عراق » فيؤرقني .

ولعل من فضائله سهولة ويسر حل رؤياه وهمه : وهو الجسد أو « جسمك » في إيجاز ينهشه ويهندسه يقول : جسمك جَوْرُ / وَفَجْ / مَوْجُ / مَرْجُ / جَمْرُ / جَهْرُ / جِسْرُ / خَمْرُ / جَهْدُ / جِدُّ / جَوْدُ / جَنْدُ . جسمك جَاسُوسُ / قَامُوسُ / نَامُوسُ / نَاقُوسُ جسمك تَسْمِيمُ / تَصْنِيمُ ...

لكن جسمها المقدود والمنعوت والمتداخل تلاشى لعله هو المجزوم بلم :

مَرَّتْ سَمَاءٌ وَلَمْ تَأْتْ

مَرَّتْ شَمَاءٌ وَلَمْ تَأْتْ

والشاعر الحبيب الزناد يشهد في قصيد « زرقه » وتصدّق نبوته في أنها لم تأت وربما وربما لن تأتي في قوله : « الدنيا كذبة زرقاء »

* عبد الرحمان بوعلي : وهو شاعر وباحث من المغرب أكد أنه ليس شاعرا بكل تواضع وما أكثر شعرائنا !

وقد جاء للاستماع للشعر التونسي خصوصا .

قرأ الأستاذ « بوعلي » قصيدتين قصيرتين اختزلتا تجربة الرّجل وعصارة تجربته المعرفية والوجودية . قال محققا مقولة قليل الكلام يغنيك عن كثيره :

كُنْتُ مَائِدَةً فِي فَلَائِ

أَقْبَلُ مِنْ بَيْتِهِ كَالزَّكَامِ

هو ذا الإنسان الموجود عربياً لا مغاربياً فحسب بل الإنسان العربي من الأزرق

إلى الأزرق في كلمات مصفأة .

* إيمان عمارة : وهي طالبة أداب وشاعرة شابة سيصدر لها عمل شعري بعنوان « حريق الذاكرة » ألقت قصيدة بنفس العنوان تقول فيما تقول : تَعَبُ تَعَبُ / مَتَى التَّهَبُ ... / الشعر طريقي إلى الله ...
والملاحظة الأولى التي ارتسمت لي هي حضور مكثف لقاموس يسود كل الموجة الجديدة من الشعراء : دم الروح - الجسد - تضاريس الوجه - خيمة - وتد - مريم - الريح .
لعلها صورة أخرى للإنسان المغاربي المسكون بهواجس الخراب والرحيل والغربة.



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

بقية ما بصفحة 89

يسرقها المساء فتلعن الحظ والقدر وتعود إلى البحر باكية يتلقف الدمع منها
بارتياح تمتهشها نار المساة ولا تملك لنفسها عزاء إلا البكاء يجف حلقها يرنعش
جسدها ، يكسوها الموج ويمتلكها الإعصار ، يسقيها اليأس كأس الفناء مرّ علقم
كالخضيض ، تسكر بالإنكسار حتى الإعياء ... تطلق صرخة عمياء تهتز لها
أسقف المدينة الصابرة وينتفض لها العباب .
« أيها البحر ما الذي فعلتُ بنفسي ؟؟؟ ... » .

الأقلام الواعدة

إعداد : عبد المجيد زين العابدين

الأم الكائن الحبيب إلى أنفسنا العظيم في أعيننا النّوب على الرفق بنا والسير بنا إلى محطة آمالنا ومنتهى أمانينا .

الأم هذه المنارة التي نستمد من أنوارنا ونسير بفضلها آمنين واثقين غير خائفين وجلين ولا متعثرين حائرين .

الأم هذا الملجأ والملأ إذا قسا الدهر علينا وادلهمت الدنيا في ناظرينا .
الأم هذا الكائن الذي يتلمظ القلّ والعناء ويتلذّذ في سبيل أن يوفّر عليك مناخاً ملؤه الرّخاء والهناء ، ليس لنا إلاّ تكبره ونقّره حقّ قدره ونوفّر عليه من أسباب العلم والرقي والحضارة ما يضمن لنا قدماً مشرقاً وضأً .

ما من شك في أن جهود عهد التغيير في هذا المضمار متعددة إلاّ أن المجتمع في جميع شرائحه مدعو إلى دعم المرأة وإعانتها على المضيّ قدماً في سبيل الاستئثار بالعلم والأخذ بأسباب الحضارة مثل غيرنا من الشعوب المتقدّمة .

أردت أن تكون أولى حلقات هذا الركن " الأقلام الواعدة " في هذه السنة الإبداعية الجديدة تنور مواضيعها جملة حول المرأة أمّا كانت أو أختاً أو حبيبة ... ورجائي أن يكون أحبّاء هذا الركن على موعد مع الإبداع والخلق . نرحّب بهم وبإنتاجاتهم وبكل من يتوق إلى مصافحة هذا الفضاء الذي ما جعل إلّا لهم .

* إلى الأنسة دلندة الهدياوي الطالبة في طب الأسنان

قرأت لك أيتها الأنسة المهذّبة دلندة أكثر من نصّ واستقرّ في ذهني أن لك حيّزا وجدانياً زاخراً بأنبل العواطف الإنسانية وأرقاها ترغيب في الكشف عنه والامتاع بما يتوفّر عليه من الخبايا والأسرار المقيدة والحبيبة .

قد يتهيأ لك بدءٌ أنَ القلم لك استقام وأنك قد بلغت في هذا الفن من الكلام ما يرام وما يرام إلا أنك في حقيقة الأمر لم تصلي من ذلك إلا إلى محطة تؤكّد ما يتوقّر في داخلك من زاد وجداني ثريّ كما تشير إلى علامات مستقبل أدبي زاهر ينتظرك ، إذا أنت عملت منذ الآن على إثراء لغتك حتى يسنح لها احتواء دقائق المعاني وتأديتها أحسن تأدية .

أنصحك بقراءة آثار أدباء وجدانيين أذكر لك منهم على سبيل المثال ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران وأبا القاسم الشابي والرافعي وغيرهم يتجاوز حدّ الحصر والعُدّ .

أنشر لك في هذه الحلقة ما عنوانه : « أمّي »
أمّي الحنون ، أريد أن ألتقط إبتسامتك من الفضاء اليانس أريد أن أوارى دمعك خلف أمل بانس ، لا تبكي أبداً ..
أمّي الحبيبة ، لا تكوني أكلة للأيام المريبة ولا تستسلمي لآلام القدر السّاذج ، ستسابقين موجاً هائجاً وتسبحين كالسّمك البارح تسبحين براعة الصياد وتصطادين شوم الأيام لتخفيه وراء القضبان لا تكوني ربّانا بل لتصبحي أمهر إنسان وأشجع امرأة .

أمّي الحبيبة كوني لي خير أمّ في هذه الدّنيا الأليمة ، تداوين ألمي وتصنعين غدي بعد ماضٍ مرير ثم توارين جرحي العسير . ما أطفك أمّي . إنك تفتحين صدراً وديعاً وتسقين زهراً بديعاً فأبدو أمامك كالرّضيع الوديع ، أقبلك فأنسى ضوضاء الالين وأكتم أنات المتالم وأردّد أحسن ما يبثه المتكلم .
أمّاه ، أشكرك على عطفك الفياض ، أقدّس أنسك الرائع روعة الملاك في أحلام الطفولة .

إنك أنت التي تحتفظين لنا بهذه الأحلام دواماً وإن تردّينا في طريق الانهيار وأسدل الليل أمامنا أروع ستار ، فيداك الوديعتان تزيج الظلام .
أبداً أحبك يا أمّي وأبقى بين أحضانك بعيداً عن جور الأيام .

* إلى الثاني الصحبي ومريم السباعي أصيلي حاجب العيون

كثيرا ما فكرت في إدراج نصكما الموسوم بعنوان « أمي » في إحدى حلقات هذا الركن لكن الفكرة تبدو سريعا ما تختفي وتهرب ويضعف في هذا العزم وأتبرا من هذا الاتفاق مع نفسي ، كل ذلك نتيجة صرامتي مع نفسي وحرصني على أن تكون آثار الشباب الأدبية والفكرية وغيرها شخصية بحتة أي ينطلق كل نص من نصوصها من شخص خاصة في هذه المرحلة الإبداعية المبكرة فلا يتواكل على غيره ليستعين به على استنباط الفكرة أو تنسم الخاطرة .

لا أستسيغ الاشتراك في مثل هذه الأعمال إلا في مرحلة قادمة إلا أن نص : « أمي » الذي ألفه الثاني مريم السباعي والصحبي السباعي منذ أكثر من سنة جعلني أراجع في بعض شروطتي المبدئية لما يتضمنه هذا النص من نبيل المعانسي حول الأم وما تتوفاً عليه من الخصال والمحاسن التي يتحلى به هذا الكائن الجليل في الحياة الإنسانية . أليست هي بحق سبب تفاؤلنا ومحطة آمالنا ومنتهى أمانينا ! أليست هي التي تجعل لنا من الربيع كساء وحيوية ، هذا الإحساس المرفف العميق بأعمق معاني الأمومة من قبل هذا الثاني وهذا الوعي منه بقيمة الأم وأبعادها في سعادة الإنسان هو الذي دعاني إلى نشر هذا النص في فضاء الأقلام الواعدة . أملي كل أملي أن يعمل الجميع على إبراز قيمتها وإيلائها من العناية ما تستحق حتى يظهر دور المرأة في مجتمعاتنا بحجمه الحقيقي .

أيها الثاني الحبيب أنشر لكما أثركما هذا ويودعي لو تمدآن مجلتكما بأعمال أخرى حول الأم .

أمي

... كان الربيع يشرق

في شعر أمي يغطي ضفيرتها

بزهور بيضاء ...

حينما حل الشتاء سقط

اللَّيْلُ - تعسرت الزَّهْرُور

ففرَّ الرِّبيعُ لجنان قلبها

ليجدد الكساء ...

يا من تلعنَّين الوجود

ألف مرةً عنكم الصُّباح

وألف مرةً عند المساء

يا من تركع لك النجوم حينما

وينفتح لدعائك باب السماء

يا أُمِّي يا من جعلت لنا الرِّبيع

نعم الكساء

نحن منك زهور للمساكين والفقراء

* إلى أبي وضاح :

يا أبا وضاح إن الإيقاع الشعري الكلاسيكي لا يكاد يخطئك ويمكن أن أقول إن

لك ضلعاً فيه بيد أنه ما زال عليك مواصلة المشوار مع قراءة الأشعار قديمها

وحديثها حتى تصبح لك أذنٌ شعريةٌ مرهفةٌ دقيقةٌ وحتى تذهن لك التفعيلة والقافية

من جهة أخرى .

أنشر لك فيما يلي عملك الشعري الموسوم بعنوان : « مهر الحبيبة » بعد شيء

من تصويبٍ وغرلة .

مهر الحبيبة

وصفها أعيى القصيدُ

أي صخر أو حديد

عشت في الدنيا شريد

وهي ترنو من بعيد

أتمنى لو يزيدُ

كل ما فيها عنيدُ

قلتُ فيها ما يُذيبُ

همت عشقا مثل قيس

بت أشك وللنجوم

صرتُ أهذي من هواها

ليس يفني في اعتقادي عاشق مات شهيداً
كل همي أن أراها عن صراطي لا تحيد

قلت روعي طوع أمرك فاطلبي ما شئت تفعل
أطلبني ما شئت منها أطلبني ما ليس يعقل
اسكنيها أنت وحدك عمرها فهي منزل
قلت هذا للحبيبة عليها تهوى القصيد
فتنت ثم قالت ليس هذا ما أريد
قلت أنت نور عيني أنت همي أنت نفسي
أنت أنفي أنت نوقي أنت حسي أنت حسبي
أنت صبحي أنت ليلي أنت يوفي أنت أمسي
أنت بخرفيه قلبي زودق ليس ليرسي
أنت عندي باختصاص مثلي ليلي عند قيس
قلت هذا للحبيبة عليها تهوى القصيد
فتنت ثم قالت ليس هذا ما أريد

قلت يا حسناء مهلاً إن قتلي ليس سهلاً
أي صيب كان مثلي لم يكن الحب أفلاً
ما الذي يرضيك حتى تصبح الأحلام فعلاً؟
لست أدري ما دهاك هل حسبت الحب هزلاً
قالت الهمفاء كلاً بل قتلت الشعير قتلاً
ليس في ما قلت نفع إن مهري ليس قولاً
أعطني مالا وقصراً سوف أرضى بك بغلاً
صحت في وجه العنيدة ناسياً وعد القصيدة

أَنْتِ شَيْطَانٌ جَمِيلٌ أَنْتِ وَاللَّهُ مَكِيدَةٌ ۝

* إلى ابن الزياتين أصيل القيروان .

أيها الصديق ابن الزياتين إنَّ ما تقوله أقرب إلى الخاطرة أو النصر المسجوع ،
فليس هو بالشعر ولا هو بالنظم وإنَّما هو مجموعة جمل يتحد الحرف الأخير أو
الحرفان الأخيران في كلِّ آخر كلمة من كلماتها إلا أنَّ ما تقوله له نكهة وطعم
ويشير بتفقت موهبة لديك قادما إنَّ أنت أجهدت نفسك وأتممتها على الظهور والبروز
وليس ليتاح لك ذلك إلا بقراءة الأشعار الجيدة قديمها وحديثها .

أنشرك في هذه المرة نصاً مهموراً بعنوان « إلى عيينين سجينتين »

وراء نظارتيك يكمن ألف سرٍّ زَادَ عَذَابِي بِسُخْرِكَ الْمُسْتَمِرِّ
وراء الزَّجَاجَتَيْنِ تاه قلبي وعقلي وَأَنْتِ تَعَاظِلِينَ بَيْنَ كَرٍّ وَقَرٍّ
فَهَلْ هُوَ الْعِشْقُ وَمَا أَحْرَ لِفَاهُ تَبَا لِقَلْبٍ لَيْسَ بِالْمُسْتَقَرِّ
تَدُلَّتْ عَلَى الْجَبِينِ خُصَلَاتُ فَأَضْحَى الضَّيَابُ ظِلَامَ الْمَكْفَرِ

أَسْأَلُ نَفْسِي عَنْ لَوْنِ عَيْنَيْكَ يَشْدُنِي الْحَيْنُ إِلَى سِحْرِ مَقْلَتِكَ
فَإِنْ كَانَتْ الزُّرْقَةُ رَمَزَ الْبَحَارِ فَإِنِّي الْبَحَّارُ شَدْنِي إِلَيْكَ
قَدْ تَاهَ مِنِّي الْمِجْدَافُ وَلَمْ أَصِلْ بَعْدُ فَهَلْ تَرَى أَرْتَاحَ عَلَى رَاحَتِكَ
أَنْهَكْتَنِي الْأَسْفَارُ وَالتَّرْحَالُ صَعَبُ فَعَتَى تَرْحَمِينَ مَقْتُونَا بِعَيْنِكَ

يا درة القيروان لمْ طَبَعُكَ جَافٌ حَنِينِي إِلَى «صَبْرًا» فِي كُلِّ حِينٍ
فَهَلْ يَا تَرَى ضَاعَتْ مَسَاعِي سُدَى فَلَمْ تَرْحَمِي لَا أَلْيَا وَلَا أَنْيْنِي
فَلَا أَنْتِ لَنْتِ وَلَا هَانَ جُبِّي وَسَرَى وَدَكْ فِي الشَّرَايِينِ
فَضِيعَتْ مَهْجَتِي وَتَاهَ لُبِّي بَيْنَ الْمَنْصُورَةِ وَبَابِ الْجَلَايِينِ
وفي خاتمة هذه الحلقة ، أشجعكم وأشدُّ على أيديكم قائلًا لكم إلى اللقاء أيها
الأحبة في حلقة قادمة .